شكارگاه التوحيد
الى الأمة الإسلامية
لمعتقد

٧٢٨٨
١٠٨٢١٨
جرائد

# البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية

العـــــدد الخامس — المجـــــلد ٣٨

محرم — صفر ١٤١٤هـ — يوليو و أغسطس ١٩٩٣م

تصدرها:

مؤسسة الصحافة والنشر

ندوة العلماء ص.ب ٩٣ لكناؤ الهند

72336 — 73864

REGD No LW /NP 59

MAJALLAH **ALBAAS-EL-ISLAMI** ( MONTHLY )

MAY — JUNE — 1993

صدر حديثاً :

المـلك الصـالح المـصلح

## السُّلطان محيُّ الدِّين اورنگ زيب عالمگير

حامل الأمير الأسرة المغولية الكبيرة المجيدة

من شرقي الهند إلى غربي أفغانستان

حياته الدينية الزاهدة، أعماله الإصلاحية الحاكمة

ومآثره التنظيمية والإدارية والتدوينية

قطعة ملتقطة من كتاب

"الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام"

للعلامة الشريف عبد الحي الحسني رحمه الله

قام بالنشر

دار عرفات دارة الشيخ علم الدراي بريلي (الهند)

المجمع الإسلامي العلمي ندوة العلماء، لكهنؤ (الهند)

قام بالنشر و التوزيع شاهد حسين ( مؤسسة الصحافة و النشر ) ندوة العلماء

رئيس التحرير : سعيد الأعظمي

بسم الله الرحمن الرحيم


أنشأها :

فقيد الدعوة الإسلامية الأستاذ محمد الحسني رحمه الله

في عام ١٩٥٥م ١٣٧٥هـ


# البعث الإسلامي


رئاسة التحرير :

سعيد الأعظمي الندوي

واضح رشيد الندوي

العدد الخامس - المجلد الثامن و الثلاثون

محرم - صفر ١٤١٤هـ - يوليو-أغسطس ١٩٩٣م

المراسلات :

البعث الإسلامي

مؤسسة الصحافة والنشر ص. ب ٩٢ لكناؤ - الهند

ALBAAS-EL-ISLAMI C/o. Nadwatul Ulama
P. O. Box, 93, Lucknow (INDIA)


## إلى إخواننا القراء الكرام

إن مجلتكم « البعث الاسلامى » تجتاز الآن عامها الثامن و الثلاثين ، و ذلك بتوفيق الله تعالى وحده ، فنحمد الله تعالى على ما أكرمنا به من الاستمرار فى خدمة البعث الاسلامى ، وندعوه أن يؤيدنا بالاستقامة و الثبات و الصمود على هذه الجبهة الدقيقة فى الظروف القاسية التى تجتازها الأمة الاسلامية ويتعرض لها المسلمون فى كل مكان ، نحو دينهم و شريعتهم و رسالتهم العالمية .

و بمجرد توفيق الله و مشيئته استطعنا أن ندخل بعض التحسينات المطبعية فى المجلة كما يراها و يسر بها القارئ الكريم ، و لا يخفى عليكم أن تكلفة المجلة قد تضاعفت بغلاء أسعار الورق و الطباعة و أجور العمال ، فنرجو أن يتكرم كل أخ كريم ببذل مجهوداته فى سبيل دعم المجلة و توسعة نطاق المشتركين الجدد فيها ، ويشاطرنا فى أداء بعض الواجب الذى تتحمله الآن .

و على ذلك قررنا زيادة فى قيمة الاشتراكات ، رجاء أن تكون فى صالح المجلة . والله من وراء القصد وهو يهدى السبيل .


**الاشتراكات السنوية :**

★ فى الهند : مأة روبية ثمن النسخة عشر وبات :

★ فى العالم العربى وفى جميع دول العالم .

٢٠/ دولاراً بالبريد السطحى .
و ٣٦ دولاراً بالبريد الجوى .

**عنوان المراسلات :**

مكتب البعث الاسلامى ،
(مؤسسة الصحافة والنشر)
ندوة العلماء ص . ب ٩٣
لكناؤ ( الهند )

ALBAAS - EL - ISLAMI
C/o, NADWAT UL ULAMA
P. O. Box : No. 93,
Lucknow. ( INDIA )


★ المجلة غير ملتزمة بكل فكر ينشر فيها ..

**الافتتاحية :**

النقاء اليهودية والنصرانية ضد الصحوة الإسلامية — سعيد الأعظمي — ٣

**التوجيه الإسلامي :**

اليهودية العالمية تتحدى الصحوة الإسلامية ! — سماحة العلامة السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي — ١٠

خواطر إسلامية — د/محمد بن سعد الشويعر — ١٩

أصول العلاقات الدولية بين الإسلام .. — أ. د. محمد الدسوقي — ٢٩

**الدعوة الإسلامية :**

نقد الغزو الفكري و مواجهته — د/ أحمد عبد الرحيم السايح — ٣٦

العقيدة الإسلامية وأثرها في بناء الإنسان — د/شوكت محمد عليان — ٤٤

الهداية وأسبابها — فضيلة الشيخ سعيد بن مسفر القحطاني — ٥٤

**دراسات و أبحاث :**

بحث حول الناسخ والمنسوخ — دكتور محمد شفيق الله — ٥٩

الإمام النسائي ومصنفاته الحديثية في سننه — د/تقي الدين الندوي — ٦٨

قضية « الصادر» و « الراجع » — د/ظفر الإسلام خان — ٧٩

الكتب المحرفة وشهادة القرآن عليها — الأستاذ محمد رشيد — ٨٦

سنن الله غالبة والنصر قادم — فضيلة الشيخ سعود بن محمد آل عوشن — ٩٠

**العالم الإسلامي :**

رسالة إلى إخواننا العرب المسلمين — أسامة أمين الطيب — ٩٣

رسالة من السفارة التونسية في الهند — [الملحق الصحفي بالسفارة التونسية] — ٩٩

**إلى رحمة الله :**

فضيلة الشيخ السيد مير الله البختياري — قلم التحرير — ١٠٠


# النقاء اليهودية والنصرانية ضد الصحوة الإسلامية

واجه الإسلام خلال رحلته الطويلة التي تمتد في مساحتها المكانية ، العالم كله شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً ، وفي مساحتها الزمنية أربعة عشر قرناً وثلاثة عشر عاماً ، صنوفاً من المخالفات والمحاربات ، ولقد كانت ردة القبائل إبان خلافة الخليفة الأول أبي بكر الصديق - رضي الله تعالى عنه - ، أول صدمة واجهتها الدعوة الإسلامية في فجر تاريخها ، ثم تلتها محن كثيرة كادت تفقد الثقة بخلود رسالة الإسلام ، وتزعزع العقيدة والإيمان ، ولكن الله تعالى تولاها بالرعاية واللطف ، وكتب لها الانتفاضة والحياة من جديد ، وقيض للدعوة الإسلامية دعاة مخلصين ، سهروا على عمل الدعوة والبلاغ ، ورفعوا راية الجهاد ضد كل دعوة مناهضة أو حركة مناوئة ، ولم يبخلوا في سبيل ذلك بأي ثمن .

واستمرت الدعوة الإسلامية تنتشر في الآفاق تكسب أنصاراً ومعجبين بها ، و تغزو القلوب و تسود الأسر و البيوت ، حتى تكونت مجتمعات إسلامية في مشارق الأرض ومغاربها ، ولكن سرعة تأثير الإسلام في النفوس واتساع نطاق الدعوة الإسلامية أقض مضاجع الفئات المعادية التي أشرب في قلوب أهلها الحقد على الإسلام والمسلمين ، فكان من شأنها أن تتآمر ضد هذا الدين الخالد ، وتضع مواهبها وطاقاتها كلها في إعداد الوسائل التي تهدم الإسلام من الرجال والأموال ، ولم يتوقف

الأمر على ظاهر العداء والحقد ، وإنما تعدى إلى مؤامرات سرّية ومخططات خطيرة ، دُبّرت في الظلام ، وأصبحت محاربة الإسلام أكبر مهمة تشغل الفكر ، وتستولي على المشاعر والعقول .

وتحقيقاً لهذا الغرض أنشئت مؤسسات وجمعيات تولى إدارتها رجال تجردوا لهذا العمل ، وتخصصوا في هذا الفن بأساليب منوعة ، فقاموا بتخطيط دقيق لدس سمومهم في عقول الشباب المسلم ، فلم يتركوا وسيلة من وسائل العلم والإعلام إلا وقد وظفوها لهدم الإسلام وإخراج هيبته من القلوب ، وتأكيد أن الإسلام لا يملك حضارة ، وليس فيه ما يساعد المرء في الاطلاع على الإبداعات العلمية والحضارية ، واستخدموا من أجل ذلك كل الدعايات والإغراءات .

كانت الغارات الصليبية تحدياً كبيراً لبقاء الإسلام في العالم كله ، ولو لا أن الله سبحانه وتعالى قد أعد لقمع فتنتها وردها على أعقابها رجالاً من أولى الغيرة مثل صلاح الدين الأيوبي ، لكان الإسلام قد انزوى إلى ركن ، والمسلمون قضى عليهم بالزوال ، لقد كانت حملات شرسة استمرت إلى قرنين من الزمان تحاول إقصاء الشريعة الإسلامية عن حياة المسلمين بصورة نهائية ، والعودة بهم إلى حياة جاهلية جديدة ، وكانت خطراً عظيماً على الجامعة الإسلامية والوحدة الإسلامية التي كانت ثمرة مجهودات السلطان صلاح الدين الأيوبي و رفاقه المخلصين في هذا المجال بالذات .

وقد قام المؤرخون الانجليز أنفسهم بتصوير هذه الغارات الصليبية فقال أحدهم وهو « ستينلي لين بول » :

« توغل الجيش الصليبي في البلاد كما يشق أحد خشباً منخوراً بالياً ، وخيل للناس ولو لبرهة من الزمان أن الصليبيين سوف يحطمون جذع دوحة الإسلام ، ويكسرونها تكسيراً » .





ويتحدث مؤرخ آخر - وهو من كبار المؤرخين النصارى - عما فعل الصليبيون الغاشمون الألداء بالمسلمين المنكوبين العزل الأبرياء عند دخولهم بيت المقدس ، وقد تملكتهم نشوة الانتصار فيقول : لما دخل المغيرون الصليبيون بيت المقدس منتصرين ، وضعوا السيف في الناس ، وأحدثوا مجزرةً هائلة ، حتى يقال : « إن خيل الصليبيين الذين ذهبوا إلى مسجد عمر راكبين ، كانت غارقة في الدماء إلى الركب ، وأخذوا بأرجل الأطفال وضربوهم عرض الحائط ، أو دوّروهم ورموا بهم من سور البلد ، وأحرقوا اليهود كلهم في هيكلهم وهم أحياء » .

وكانت نكسة « بيت المقدس » تؤذن بضعف المملكة الإسلامية وسقوطها ، ويقظة العالم النصراني ونهوض قوته الناشئة ، وكانت نذير خطر في العالم الإسلامي ، فقد تأسست أربع ولايات نصرانية في الشام وفلسطين (القدس ، وأنطاكية ، وطرابلس ، والرها) وكانت تشكل خطراً قائماً وسيفاً مسلولاً على حرية مركز الإسلام ، وقد توسعت أطماع النصارى إلى أن هم « ريجي نالد » والي كرك بالزحف على الحرمين الشريفين ، وتفوه بما يتضمن الاعتداء على مدفن الرسول -ﷺ- ، وأبدى نواياه الخبيثة .

والحق أن هذه المرحلة كانت أدق وأحرج مرحلة في التاريخ الإسلامي بعد وقعة الردة ، فكان وجود الإسلام معرضا للخطر ، وقد تحتم على العالم الإسلامي أن يخوض معركة مصيرية حاسمة » (١) .

---

(١) « صلاح الدين الأيوبي - رحمه الله - ، البطل الناصر لدين الله » لسماحة العلامة الشيخ أبي الحسن على الحسني الندوي ، (المطبعة الندوية ، ندوة العلماء) لكناؤ (الهند) عام ١٩٨٩م .

كانت غارة التتار في القرن السابع الهجري فتنة عمياء شملت جميع بلدان العالم الإسلامي وشلت قوى الإسلام وعطلت شعائره ، وكان يبدو أن المسلمين سيلقون حتفهم الأخير فيها ، وسوف لا يجد الإسلام مجالاً للانتعاش والقيادة ، ويستسلم أمام الظروف التاتارية ، ويتجفف نبعه عن كل عطاء علمي وديني وحضاري .

واجه الإسلام في هذه الفتنة محنة قاسية وكانت فترة عليه عسيرة ، بعثت التشاؤم في قلوب المسلمين فظنوا أنها هي النهاية الأخيرة لرسالة الإسلام . تمثلت أمامهم صورة اليأس والهزيمة وصدق عليهم قول الله تعالى : ﴿ إذ جاؤكم من فوقم ومن أسفل منكم • وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا • تالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً ﴾ .

وحدب الله على دينه وحماه برعايته ، وردّ إليه نضارته بعد ضراوة التتار ، وبيض وجه المسلمين وإعاد إلى نفوسهم الثقة بخلود رسالته ، والإيمان بقوله : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ وقد سجل التاريخ أن الله سبحانه قيض لهذا العمل رجالا من عباده المؤمنين وفتح قلوب التتار أنفسهم لقبول رسالة الإسلام واعتناق دينه بكل اقتناع وإصرار .

وفي عالمنا المعاصر سجل التاريخ صحوة إسلامية شاملة ، لم يستطع الغرب أن يهمل شأنها ويقلل قيمتها وإنما حسب لها كل الحساب ، ودرس أبعادها و تأثيرها بعمق وجدية ، فإذا بها تغزو العقول و القلوب والمجتمعات والمؤسسات والحياة بجميع ألوانها وأنشطتها ، وهنالك نشطت المؤسسات الغربية بوسائلها الظاهرة والباطنة لمقاومة هذه





الصحوة المباركة وحشر لها جميع وسائل الهدم ، لصد تيارها وإرجاعه إلى الوراء ، وقد أحسن بخطورتها الغرب بجميع قطاعاته وفصائله وعلى جميع المستويات العلمية والصناعية والسياسية والاجتماعية . فتوصل الغرب كله بعد استعراض الصحوة الإسلامية من جميع نواحيها وتفقد تأثيرها ، وبعد مشاهدة الإقبال على الإسلام في الأسر والعائلات الغربية ، وبين علماء الغرب وأصحاب الفكر والثقافة فيه ، إلى وضع الحد عليها بشتى الأساليب والفنون من الاعلام والثقافة والعلم والصناعة والإغراءات المادية والنفسية ، وفتح أبوابه للشباب المسلم في مجال التعليم والتربية ، والعلم والتكنولوجيا ، وفعلاً تحقق كل ذلك في هذه المجالات إلا أن النتائج التي ترقبها لم تتوافر ، وظلت الصحوة الإسلامية تغزو العقول والقلوب وتتفاعل معها أفكار الناس ومشاعرهم ، مما ألبس القضية لباس الاهتمام ، وحولها إلى أخطر قضية ، تفرض على المعنيين بها أن يتشاوروا لأخذ العدة اللازمة لصد تأثيرها ، وبالتالي للقضاء عليها نهائياً .

وبدا لهؤلآء الناس خلال هذا التفكير الهادف والدراسة الجدية لقضية الصحوة التي أقضت مضاجعهم و أفقدت راحتهم ، أن يدرسوها على مستوى « الأمم المتحدة » التي تشترك فيها النصرانية بجميع وسائلها وآلاتها واليهودية بجميع مكائدها وأسلحتها ، مع نبذ جميع الخلافات العقائدية بينهما ، وصرف النظر عن الظروف المذهبية المعادية التي تفصل بينهما ، ذلك لأن القضية أهم وأخطر ، تتطلب أن تكون جميع الفئات والديانات يداً واحدةً في مقاومتها ، وقمع شوكتها ، ورد تيارها .

ومن ثم تعانقت اليهودية مع المسيحية والتقت كلتاهما على جميع

محاور الحرب ضد الإسلام ، والصحوة الإسلامية ، فكان التقاءاً تاريخياً، حيث تصافحت اليهودية مع المسيحية لأول مرة في التاريخ على ساحة محاربة الإسلام ، وتناست كلتاهما جميع التهم والإجرامات التي كانتا تتبادلانها فيما بينهما ، و تتصافيان في المودة وحسن الظن والثقة ، ولا تفعلان كل ذلك إلا من أجل هذه الصحوة التي أقلقت قلوب الجميع .

إنها نقطة تحول مهمة في تاريخ الديانتين والشعبين اللتين تلتقيان على نقطة المحاربة ضد الإسلام ودعوته ، وتجتمعان على هذه السلبية التي لا تعني إلا العداء والكراهية للإسلام والمسلمين .

من غرائب مصادفات التاريخ أن تتحد اليهودية والمسيحية لضرب الصحوة الإسلامية والقضاء عليها ، ويتفرق المسلمون على جميع الاعتبارات ويتناحروا فيما بينهم على أتفه الأمور ، ويعودوا إلى الجاهلية الأولى ، تمزقهم العداوات والحزازات ، وترميهم الخلافات إلى أبعد حدود الفرقة والشقاق .

اليهود والنصارى يعتصمون بحبل الوحدة والتضامن ، والمسلمون يعيشون الفرقة والانشقاق ويستغنون عن الاعتصام بحبل الله ، ويضرب بعضهم رقاب بعض .

فأين المسلمون اليوم مما ذكرهم الله به من نعمة الأخوة والوحدة والألفة بعد العداوة البغيضة التي مزّقت قوة الإنسان وحطمت وجوده ، وأين هم من الاعتصام بحبل الله الذي كان ضماناً بالسعادة والكرامة ، وكان أول بشارة لهم بعد التخلص من حومة الجاهلية ، وأوار الشرك .

﴿ واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءاً فألف بين قلوبكم • فأصبحتم بنعمته إخواناً • وكنتم على شفا حفرة من النار • فأنقذكم منها • كذلك يبين الله لكم آياته • لعلكم تهتدون ﴾ .

سعيد الأعظمي



# التوجيه الإسلامي

# اليهودية العالمية تتحدى الصحوة الإسلامية !

[الحلقة الثانية الأخيرة]

سماحة الشيخ العلامة السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي

وقد كان الدهاء والمكر والخديعة والذكاء الذي لا يقوم على احترام الإنسانية ولا يقف عند الحدود العقلية والخلقية والذي يتجه دائماً إلى الأنانية والسلبية انتصارات بهرت العقول والألباب ، وغشت على العيون والأبصار وشككت في التاريخ البشري وكادت تفقد الثقة بقوة الحق وحسن العاقبة للصادقين المتقين ، وكانت لهذه القوة التخريبية الماكرة جولات وصولات في التاريخ حتى تحركت الجبال الراسيات واضطرب رجال الفلسفات وعلماء الديانات وقد صور القرآن بإعجاز هذه الساعات الدقيقة العصبية وما ينتاب العقول والقلوب في ذلك الوقت من حيرة واضطراب وشك وارتياب وليس هناك تصوير أبلغ من تصوير القرآن : ﴿ حتى إذا استيئس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجى من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين ﴾وقوله : ﴿ إذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً ﴾ (سورة الأحزاب ، الآية : ٩-١١ .

وقد عالج القرآن هذه النفسية التي تخضع دائماً للغلبة والقوة مهما كانت عارضة مؤقتة ومهما كانت سخيفة هازلة فقال : ﴿ لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد ﴾ (سورة آل عمران ، الآية : ١٩٦-١٩٧) ، وقال : ﴿ ما يجادل في آيات الله إلا الذين





كفروا فلا يغررك تقلبهم في البلاد ﴾ (سورة غافر ، الآية : ٤) .

وعالج كذلك النفسية الضعيفة التي تستسلم دائماً لدهاء دقيق ومكر محكم أو مؤامرة ناجحة فذكر مراراً وتكراراً أن مصيره إلى الانهيار والافتضاح والخيبة والإخفاق وأنه كنسيج العنكبوت ﴿ وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون ﴾ (سورة العنكبرت ، الآية : ٤١) ، وقرر أن الخير لا ينتج من الشر وما كان أساسه ضعيفاً متداعياً للسقوط ولم يكن له أصل ثابت ولا جذور عميقة - في الأرض الكريمة أو الفطرة السليمة - يكون البناء الذي يقوم عليه مستعداً للانهيار في كل لحظة ، فقال : ﴿ أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ (سورة البراءة ، الآية : ١٠٩) ، و قال : ﴿ و مثل كلمةٍ خبيثةٍ كشجرةٍ خبيثةٍ اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار﴾ ، وقال على لسان نبي الله موسى مخاطب لجماعة السحرة : ﴿ قال موسى ما جئتم به السحر إن الله سيبطله إن الله لا يصلح عمل المفسدين ﴾ (سورة يونس ، الآية : ٨١) ، وقال يتحدث عن المكر والدهاء في مختلف الأزمنة والأماكن كقانون عام خالد : ﴿ ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله فهل ينظرون إلا سنة الأولين فلن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً ﴾ (سورة فاطر ، الآية : ٤٣) ، وقال : ﴿ والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور ﴾ (سورة فاطر ، الآية : ١٠) ، وأعلن حقيقة عالمية لا تختلف باختلاف الزمان والمكان والشعوب والأوطان ومظاهر الفوز والخسران والسعادة والحرمان فقال غير مبال بما يعتقده البشر من نجاح الحكام والملوك والطامحين المغامرين في عصرهم : ﴿ فاصبر إن

العاقبة للمتقين » (سورة هود ، الآية : ٤٩) ، و قال : «وقل جاء الحق وزهق الباطل ، إن الباطل كان زهوقاً » (سورة الإسراء ، الآية : ٨١) .

بالعكس من ذلك فالعرب رغم جميع العلل ومواضع الضعف والطوارئ التي تحدثنا عنها في مقالاتنا ومحاضراتنا السابقة في صراحة ليست فوقها صراحة مازالوا ولا يزالون أصحاب دعوة إنسانية عامة ورسالة عالمية تملأ الآفاق : والدين الإسلامي الذي أكرمهم الله بالسبق فيه والدعوة إليه حق مشاع وثروة مشتركة لجميع الأمم والشعوب والعناصر والأجناس والأسر والبيوتات والبلاد والأوطان ليس فيه احتكار مثل احتكار بنى لاوى من اليهود أو البراهمة من الهنود لا يتميز فيها شعب عن شعب ولا نسل عن نسل ليس الاعتماد فيها على العرق والدم بل الاعتماد فيها على الحرص والشوق وحسن التلقى وزيادة التقدير والتفوق في الجهاد والاجتهاد وقد روى الإمام أحمد بن حنبل بسنده عن النبي -ﷺ- أنه قال : « لو كان العلم بالثريا لتناوله أناس من أبناء فارس » وقد دان العرب في جميع عصورهم لكل من برز في العلوم الدينية وتفوق فيها وأقروا لهم بالامامة والزعامة فيها وخلعوا عليهم من النعوت والألقاب ما لم يخلعوها على كثير ممن برع في هذه العلوم من العرب ، فلقبوا الإمام محمد بن إسماعيل (بن إبراهيم بن مغيرة بن بردويه) الجعفي البخاري صاحب الجامع الصحيح (م ٢٥٦هـ) بأمير المؤمنين في الحديث وقالوا عن كتابه أنه أصح كتاب بعد كتاب الله ولقبوا الإمام ابا المعالي عبد الملك الجويني النيسافوري (م ٤٧٨هـ) بإمام الحرمين ولقبوا الإمام أبا حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (م ٥٠٥هـ) بحجة الإسلام ، وقد كان الموالي وأبناء العجم هم زعماء العالم ومراجع المسلمين





في جميع عواصم المملكة الإسلامية الواسعة في آخر القرن الأول الهجري وقد انتهت إليهم رئاسة العلم والفتيا والفقه والحديث وهي قصة معروفة في جميع كتب الطبقات والسير والتراجم وتاريخ الحضارة الإسلامية واستمر ذلك في العصور الإسلامية الذهبية التي ساد فيها العرب حتى قال نابغة العرب العلامة عبد الرحمن بن خلدون المغربي (م ٨٠٨هـ) « من الغريب الواقع أن حملة العلم في الملة الإسلامية أكثرهم العجم سواء في العلوم الشرعية أو في العلوم العقلية إلا في القليل النادر مع أن الملة عربية وصاحب شريعتها عربي .. فكان صاحب صناعة النحو سيبويه والفارسي من بعده والزجاج من بعدهما : وكلهم عجم في أنسابهم وكذا حملة الحديث وعلماء أصول الفقه وحملة الكلام وأكثر المفسرين (١) » .

والعرب بفطرتهم التي فطرهم الله عليها من أقرب الأمم والشعوب إلى قبول مبدأ المساواة الإنسانية واحترام النوع البشري وأنشطها في تطبيق هذا المبدأ والعمل به قد حملوه معهم في فتوحهم الواسعة وزحفهم المبارك الذي فتح للعالم آفاقاً جديدة في العلم والمدنية والفضيلة والتقوى حتى أحبتهم الشعوب المفتوحة - وقد فتنت الشعوب في بداية التجربة بعد معرفتها بالإسلام ببعض الفاتحين وغلا بعض الغلاة الوثنيين من مشركي السند والملتان في شبه القارة الهندية في القرن الأول الإسلامي فصنعت لمحمد بن القاسم الثقفي الفاتح العربي ، تماثيل أضافتها إلى تماثيلها القديمة حبا وجلالا . وكانت المعاملة الرقيقة الغريبة التي عامل بها الخليفة عمر بن عبد العزيز أهل سمرقند المفتوحين سبباً لحب

---

(١) مقدمة ابن خلدون : المطبعة البهية المصرية ، ص/٤٠١ .

الفاتحين وانتشار الإسلام بسرعة غريبة في هذه البلاد (١) بخلاف البلاد التي فتحها غير العرب قاطبة ، فدخلت في الإسلام واعتنقت الحضارة الإسلامية وتكلمت باللغة العربية وفضلت الفاتحين الأجانب وما حملوه معهم من أخلاق وعادات وشرائع وقوانين ولغات ولهجات على ما توارثتها منذ أحقاب طويلة وأجيال متواصلة وتكون من هذه الشعوب هذا العالم العربي الذي تتحدث عنه ولا تزال كلمة أمير المؤمنين عمربن الخطاب التي قالها لأحد قادته الكبار يتردد صداها في الآذان والقلوب وفي صفحات التاريخ : « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً »

وقد كانوا في جاهليتهم وفي إسلامهم من أبعد الأمم بحكم الفطرة والنشأة والمثل العليا التي كانوا يدينون بها عن طبيعة المؤامرات والتكتم والسرية والدسيسة والنفاق فكانوا أعداء جهارا وعلانية وكانوا أصدقاء جهارا وعلانية وكانوا إذا حاربوا حاربوا في الميدان وإذا صالحوا صالحوا عن إعلان ، دل على ذلك شعرهم وأدبهم و وصاياهم وحكمهم وأمثالهم في الجاهلية والإسلام ، ولم يكن النفاق من طبيعتهم الأصلية ولذلك يكاد المفسرون يتفقون على أنه لا نفاق في مكة لأنها بيئة عربية خالصة لا تشوبها شوائب اليهودية والعناصر الدخيلة وعلى أن

(١) جاء في فتوح البلدان للبلازري : ص/٤٢٨ ، قال أبو عبيدة وغيره لما استخلف عمر بن عبد العزيز وفد عليه قوم من أهل سمرقند فرفعوا إليه أن قتيبة دخل مدينتهم وأسكنها المسلين على غدر فكتب عمر إلى عامله يأمره أن ينصب لهم قاضياً ينظر فيما ذكروا فإن قضى بإخراج المسلين أخرجوا ، فنصب لهم جميع بن حاضر الباجي فحكم بإخراج المسلين على أن ينابذوهم على سواء ، فكره أهل مدينة سمرقند الحرب وأقروا المسلين فأقاموا بين أظهرهم وكان ذلك بعد ما مضى على فتح سمرقند سبع سنوات .





جميع الآيات التي جاء ذكر النفاق والمنافقين فيها مدنية (١) . وقد استدل لذلك بعض المفسرين والأصوليين بقوله تعالى في سورة البراءة : ﴿ وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق ﴾ (سورة البراءة ، الآية : ١٠١) ، فلا خطر على العالم وعلى الرقعة التي يحكمها العرب وعلى الشعوب والأمم .التي يقودونها وعلى المدنيات والمؤسسات التي يوجهونها وعلى السياسة التي يلعبون فيها الدور الحاسم من مؤامرة سرية ومن دسائس خفية ومن النفاق في الأخلاق ومن الافساد بين الطوائف والطبقات ومن خلق المشاكل والأزمات لمصلحة قومية وأنانية فردية أو جماعية ، انما هي قيادة واضحة حاسمة وسياسة ظاهرها وباطنها سواء وحكم يعدل مع القريب والبعيد والشرقي والغربي والعجمي والعربي .

أما هذه العصبية الجاهلية التي ابتليت بها بعض الجماعات العربية لأسباب ليس هذا محل شرحها فهي طارئة دخيلة لا تنسجم مع الطبيعة العربية الإسلامية الأصيلة وهي تثور عليها في أول فرصة وتعود إلى أصالتها القديمة وإلى إيمانها الذي امتزج بلحمها ودمها وتغلغل في أحشائها بقوله تعالى : ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ (سورة الحجرات ، الآية : ١٣) ، ويقول الرسول الأعظم -ﷺ- : « الناس بنو آدم وآدم خلق من تراب لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى » (٢) .

وإذا كان الإسلام رسالة الله الأخيرة الخالدة التي تكفل الله ببقائها

(١) سبق لكاتب هذه السطور ، مقال في هذا الموضوع نشرته صحيفة « الفتح » لغراء لصاحبها محب الدين الخطيب سنة ٢٢ أو ٢٣م .

(٢) رواه الترمذي وغيره عن النبي -ﷺ- .

وخلودها وإذا كان القرآن هو الكتاب السماوي الأخير الخالد الذي ضمن الله بقائه وحفظه ولا بقاء للإسلام ولا للمسلمين (كأمة ذات عقيدة وشخصية وقانون وشريعة ودعوة ورسالة) بغيره وكل ذلك مكفول مضمون وقد قال الله تعالى : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ (سورة الحجر ، الآية : ٩) . كان بقاء العرب مضموناً مكفولاً كذلك ، فلا بقاء للقرآن بغير اللغة العربية ولا بقاء للغة العربية بغير أهلها فإن كل ذلك لا يقوم في الفضاء وليس من المعقول ولا من اللائق بحكمة الله تعالى أن يبقى هذا الكتاب الخالد العالمي لغزا لا يفهمه أحد أو مختوما لا يستطيع أحد أن يفض هذا الختم ويستفيد به أو يبقى أثراً تاريخياً في المتاحف والمستودعات قد اندسرت لغته كما اندسرت الهيروغليفية أو الفينيقية أو الحيرية وتعالى الله عن أن يسمى ذلك حفظاً وصيانة وفضلاً وكرامة ويمن بها على الأمة وعلى الإنسانية التي لا تزال تستمد منه القوة والحيوية وتسير في ضوئه في كل عصر وجيل ، وليس من الحكمة أن يعيش العرب مستعبدين أذلاء صاغرين ويفقدون كل حول وطول وكل وسيلة لتوجيه البشرية وقيادة الإنسانية وتصبح هذه المنطقة التي أشرقت منها شمس الإسلام وانطلقت منها موجة المد الإسلامي في الآفاق وارتبط بها تاريخ الإسلام والمسلمين هذا الارتباط الوثيق الذي لا مثيل له في تاريخ الديانات وفيها هذا البيت العتيق الذي جعله الله مثابة للناس وأمنا ومراح الأرواح ومهوى الأفئدة ومدينة الرسول التي هي مهبط الوحي وظئر الإسلام ومصنع التاريخ فلا بقاء للإسلام والمسلمين - ولو قامت لهم ألف دولة وارتفع لهم ألف علم - ولا شرف لهم ولا كرامة ولا هدوء لهم ولا راحة إذا ذل العرب وفقدوا هذه المنطقة التي فيها مقدساته





وهي معقل الإسلام ومصدره ومأزره ولذلك جاء في بعض كلمات مأثورة : « إذا ذل العرب ذل الإسلام » .

ولذلك كانت هذه الأوضاع غير الطبيعية غير صالحة للبقاء والاستمرار ، تعارضها الفطرة البشرية والعقل المستقيم والمنطق السليم وطبائع الأشياء والحقائق الراهنة والظروف المحيطة والنصوص الدينية والوعود الإلهية والتاريخ والجغرافية والسياسة الحكيمة التي لم تفقد رشدها ولم تجن جنونها وإذا بقيت مدة قصيرة فهي مدة طويلة بالنسبة إلى حكم الوضع وطبيعة الأشياء وبداهة العقل .

وبعد فإن انتصار الصهيونية في هذه الفترة التي يمر بها العالم العربي والإسلامي الآن وتحقيق بعض أهدافها ومخططاتها في الاستيلاء على هذه المنطقة العربية الإسلامية لم يكن انتصار رسالة على رسالة ولا انتصار أمة على أمة ولا انتصار دين على دين ولا انتصار حق على باطل فإن اليهود ليست لهم أي رسالة في هذا العصر ولم تكن هناك معركة بين اليهود والأمة الإسلامية أو الشعوب العربية .

أما قضية الرسالات وقضية جدارة الأمم وصلاحيتها للبقاء واستحقاقها للنصر فقضية عسيرة معقدة فلا يسهل إبدال رسالة برسالة ولا يسهل نفخ روح في جثة هامدة . والأمة العربية الإسلامية لا تحتاج إلى رسالة جديدة ولا إلى دين جديد ولا إلى بعث وإحياء فإنها هي الأمة الزاخرة بالحيوية والقوة المستعدة للانتفاض في كل وقت . أما الأفراد فهم كأمواج نهر دافق جار تأتي وتذهب وتغدو وتروح وترفع رأسها وتثبت وجودها وقد تغرق بعض السفن وتتحطم بعض القوارب ولكنها تغيب في وجود النهر الخالد الكبير وتتوارى في هذا الخضم

المائج . والنهر مع ذلك لا يفقد اسمه ولا وجوده ولا شخصيته .

وقد شهد التاريخ الإسلامي أمواجاً من هذا النوع ارتفعت حتى وصلت إلى عنان السماء ثم نامت في مهد هذا البحر اللجي وفي أعماقه فقامت حكومات وطويت حكومات وجاءت جماعات وذهبت جماعات والإسلام هو الإسلام والأمة هي الأمة والرسالة هي الرسالة والكتاب هو الكتاب والإيمان هو الإيمان .

وهكذا النكبات والكوارث وحوادث التراجع وانتكاس تجارب طبيعية تمر بها الأمم الحية النامية الدافقة بالحياة ومحن تمحص بها وتصهر لتبلغ النضج والاكتمال وتتعود اليسر والعسر والسراء والضراء ولا تبطر عند الفتح ولا تيئس عند الهزيمة : ﴿ لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم ﴾ (سورة الحديد ، الآية : ٢٢) . كالجسم الحي النامي الذي لا يعتمد على حيويته وقوة مقاومته حتى يمر بمراحل مختلفة من الصحة والمرض والقوة والضعف واختلاف الأجواء والمناخات وتنوع الفصول والطقس فيحتمل كل ذلك ويتمرن عليه والعودة إلى الصحة مضمونة للجسم السليم القوى والانتصار مكفول لصاحب الرسالة الفاضلة المفيدة للبشرية والصفات الكريمة العائدة بالخير على الجميع وصدق الله العظيم : ﴿ قد خلت من قبلكم سننٌ فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين • هذا بيان للناس وهدىً وموعظةً للمتقين • ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين • إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرحٌ مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين • وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين ﴾ (سورة آل عمران ، الآية : ١٢٧-١٤١) .



# خواطر إسلامية

دكتور محمد بن سعد الشويعر
رئيس تحرير مجلة « البحوث الإسلامية » الرياض

الذي يمر ببعض البلاد التي فيها أقليات إسلامية ، ويحرص على الالتقاء بهم في صلاة الجمعة ، حيث هي الفرصة التي يلتئم فيها جمعهم ، ويلتقي قاصيهم بدانيهم بسبب قلة المساجد ، وتباعد المساكن ، والانهماك بالأعمال ، ومشاغل الحياة المتعددة في بلاد لا تراعى للمسلم ظرف عبادة ، ولا وقت صلاة ، وإنما هو الشعور منهم كمسلمين بما يفرضه عليهم دينهم من محافظة والتزام ، والحرص على أداء العبادة التي حث عليها الشارع .

فتكون صلاة الجمعة للالتقاء بهؤلآء الإخوة من أي جنسية كانوا ، وفي أي موقع من الأرض حلوا ليتعارفوا ويتحدثوا ، ويبث بعضهم الشكوى لبعض مما يؤرقهم ، أو يرون فيه مصلحة لتبادل الرأى مع إخوانهم ، والسؤال من المهتمين منهم عما يهمه في أمور دينه ، ليجد جواباً يعينه في العبادة ، أو يريح نفسه مما قد أهمها امره .

والمسلمون في كل مكان عند ما يكون عددهم قليلاً ، فإنهم يواجهون مشكلات كثيرة ، أهمها ما يتعلق بأبنائهم والمحافظة عليهم ، والحرص على تعليمهم القرآن الكريم ، وأمور دينهم ، لأن هؤلآء الصغار اليوم ، هم رجال الغد وأمهاته ، وبمحافظتهم يمتد النمو الإسلامي ، وبتهاونهم يذوبون في المجتمع الذي تكتنفهم فيه المغريات في كل شئ ، حيث يتوفر لدى الشباب ما قاله الشاعر العربي ، وأكثر منه :

إن الشباب و الفراغ و الجدة
مفسدة للمرء أي مفسدة

وفي هذا اللقاء معك أخي الكريم سأنقل لك مشهداً واقعياً مما يختلج بصدور أفراد من المسلمين في استراليا ، حيث أدركتنا صلاة الجمعة ١٤٠٩/٦/٢٠هـ في مدينة « برزبن » وفي مسجد بنته أول جالية إسلامية من الأفغان منذ ١٧٠ عاماً تقريباً ، والحالات التي أعرض ما هي إلا نماذج كثيرة لما يمر بكل فرد في بلاد الغربة : غربة البلد ، وغربة الإسلام .

هذا المسجد الذي يبرز عالياً بقبته وعلاماته الدالة عليه ، شاهد حي على أن الإسلام طاقة قوية تشحن النفوس ، وتمدها بالزاد الذي يعينها على تخطي الأزمات ، وأن تمكن عقيدته في النفوس يحتاج إلى جهود متظافرة ، ليكون المسجد مصدر امداد بالعلوم والمعرفة للكبار والصغار ، .. فللكبار باللقاءات والمواعظ وشرح أمور العبادات في خطب الجمعة والمناسبات ، وللصغار بالرعاية والتعليم واستغلال الأوقات المسائية في تنظيم الدروس وحفظ كتاب الله ، وتعلم اللغة العربية التي هي وعاء الدين الإسلامي ، ومن الأحاديث واللقاءات بالإخوة المصلين الذين ينتمون لأكثر من عشر دول في أصولهم ، ومنابع نشأة آبائهم وأجدادهم ، لمسنا نماذج تفرح ، وتدعو للتفاؤل بمستقبل الإسلام وانتشاره ، إلى جانب الأمور المحزنة ، والتي تدعو إلى حل ، وتظافر جهود ، وصدق في النية والعمل .

والصور كثيرة ، وما يلمسه المختلط بالمسلمين في كل مكان منبع ثرّ للعرض ، ومنطلق جيد لمن يريد أن يعمل ويحتسب ، فأمر الله واجب الإتباع ، ودينه الذي ارتضاه لخير أمة أخرجت للناس يجب الذود عنه وتبيينه لمن يجهله .





## صور من الأوضاع :

وساكتفي في هذا الموقف بعرض ثلاث حالات ، يحس منها القارئ الكريم ما يتفاعل في نفوس الناس هناك نحو أنفسهم ونجاة أبنائهم ، من إيجاب وسلب .

### = الحالة الأولى :

لمجموعة من الإخوة من الهند جاء جدهم مهاجراً لهذه القارة منذ مائة وعشرين عاماً وتناسل أبناؤه ، لكن هؤلاء الأبناء الذين بلغ عددهم سبعة ، ورزقهم الله مالاً وافراً لم ينسوا معه واجبهم الديني ، فالتأموا في مسكن متجاور ، ونظموا فيما بينهم وقتاً لتعليم الأبناء والبنات أمور دينهم وتحفيظهم القرآن الكريم ، وجعلهم يعيشون في جو إسلامي حتى لا يذوبوا في هذا المجتمع الذي ولدوا فيه ، ولم يسمحوا لأي واحد من أبنائهم أو بناتهم أن يتزوج من غير المسلمين الهنود .. والمشكلة التي تؤرقهم هي عدم توفر مدرسة إسلامية لديهم ، ونقص الجهود المبذولة لأبنائهم .. كما هي المشكلة العامة للأقليات المسلمة في كل مكان .

وقد حدث لأحدهم موقف في زواج أخته ، وابن أخيه ، اللذين رغبا في الارتباط في حياتهما الزوجية من بيئتهما الجديدة ، وما كان منه إلا أن أخذ هما في رحلة شملت الهند ، وذهبوا القرية التي ولد بها جدهم ، وهناك زوج ابن أخيه ، ثم كانت الفرصة مواتية بالعرض على شاب تخرج حديثاً ولم يتوفر له عمل بزواجه من أخته ، وتهيئة فرصة عمل وهجرة إلى استراليا .. ولما كان النظام في استراليا يمنح له امتيازات بزواجه من استرالية الجنسية ، فقد فرح بذلك لأن الله قد ساق إليه رزقاً وافراً من عدة قنوات ، فالله جل وعلا يرزق من يشاء بغير حساب .. عاد هذا الرجل بالجميع ، وقد ربطهم الإسلام بزواج متكافئ ، وارتاحت نفسه لأنه بذل

جهداً في التغلب على مشكلة ستكون نتائجها البعيدة خطيرة على سلامة الدين ، وامتداد الفروع المحافظة على ما أمر الله برعايته ، والعناية بأجيال سيبدأ ذوبانهم تدريجياً بالابتعاد عن الإسلام والانصهار في مجتمع غير مجتمعه في حالة إهمالهم .

ثم باهتمامه بأداء الأمانة التي أمر الله كل مسلم أن يؤديها نحو نفسه ، وتجاه أسرته ومن يستطيع التأثير فيهم ، ثم نحو المجتمع الإسلامي ، وامتداد جذور الإسلام أخذاً من قول الله تعالى : ﴿ وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون ﴾ .

لم يكن هذا الرجل من العلماء ولكنه مسلم شاعر بدور الإسلام في بناء النفوس ، وأثره في تربية المجتمعات ، رغم أنه رجل أعمال يشتغل في تعبيد الطرق ، والانتقال من مكان إلى آخر ، ومثل هذا العمل من الدور الذي يجب أن يضطلع به كل مسلم فهماً وبعد نظر ، إذ توفر أمثال هؤلاء في المجتمعات الإسلامية مهما صغر حجمها وقل عدد أفرادها يدل على أن الإسلام بخير ، وأنه لا يحافظ عليه إلا أبناؤه المتحمسون له المهتمون بمراقبة الله، والمحافظة على شرائعه، وهذا هو الإحسان الذي أمر الله به ، كما فسره حديث جبريل - عليه السلام - .

**= الحالة الثانية :**

مشهد محزن لمن اهتم بدنياه وترك دينه ورعاية أولاده ، شخص جاء يجأر إلى إمام المسجد ليقول له بحزن وألم ، أدرك أنت أيها الشيخ والأخوة المصلون معك ابنتي قبل فوات الأوان ، قال له : كيف ؟ قال : إنها رغماً عنا سوف تتزوج رجلاً مسيحياً ، وسوف تعقد لهم الكنيسة في الأسبوع القادم ، وفق المراسيم النصرانية ، وقد بذلت جهدى أنا وأمها لمنعها ، ولكنها أصرت وضربت بجهودنا ورجاءاتنا عرض الحائط ،





وبقيت على إصرارها ..

قال : وماذا تريد أن نعمل ؟ قال : المنع أو عمل أي جهد ترونه للحيلولة دون هذا الزواج .

فقال إمام المسجد : منذ متى وأنت في هذه المدينة ؟ قال : منذ عشرين سنة ، قال : وكم مرة رأيناك فيها ، قال : هذه أول مرة .. قال له : سبحان الله ! ضيعت نفسك وأولادك ، ثم جئت بعد هذا لترغب منا أن نصلح في ساعة ما أفسدته بأعمالك طوال هذه المدة ، إنك وأولادك قد ضيعتم أنفسكم في معرفة أمور دينكم ، وحضور الصلاة مع إخوانكم ، وربط الأبناء بالمسجد حتى يكون لديهم معرفة بأمور دينهم وما يوجبه عليهم ، وحتى يتعرفوا على إخوانهم المسلمين في هذه المدينة ، وسوف تسأل أمام الله عن تضييعك نفسك ، وإهمالك تعليم أبنائك ، حتى كانت النتيجة ، كما ترى ، ولعلك لم تأت إلينا إلا خوفاً من السمعة وكلام الناس ، أما الخوف من الله ، وامتثال شرعه فهو آخر ما فكرت فيه ، لأن الرسول -ﷺ- يقول : تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة .

ثم تداول الاخوة بتوجع أمثال هذا الرجل من الكثيرين الذين ذابوا في المجتمعات التي عاشوا فيها ، حيث كان آباؤهم وأمهاتهم مسلمين ، ولكنهم نتيجة للجهل بأمور تعاليم الإسلام ، وتساهلهم في تطبيق شرائعه ، والبعد عن كتاب الله ، أصبحوا من غير المسلمين ، وخسرهم المجتمع الإسلامي .

**= والحالة الثالثة :**

تمثل خمسة من شباب استراليا الذين دخلوا الإسلام مجدداً ، فكانوا نواة طيبة لمجتمع إسلامي في مدينتهم الصغيرة التي تبعد عن مدينة « برزبن » ثلاث ساعات للسيارة ، يأتون كل أسبوع لصلاة الجمعة

وللتذاكر والإفادة من إخوانهم ، وللسؤال عما يعترضهم .. آخرهم إسلاماً كان منذ شهرين فقط ، تحس منهم اليقظة والاهتمام ، وتلمس من حرصهم الرغبة الأكيدة في هذا الدين الذي استولى على مشاعرهم وأحبوه عن قناعة .. فدخلوا فيه ، وحرصوا على أن يمتثلوا تعاليمه في كل شأن من شئون حياتهم ، فعند ما التقيت بهم وسمعت منهم أدركت الحرص على تفهم هذا الدين وما ينتهجه لأبنائه ، وتذكرت ما كان يعمله صحابة رسول الله -ﷺ- من الحرص على تعلم القرآن ، وتفهم ما يأمر به هذا الدين ، واهتمام من عرف منهم بالذهاب إلى من لا يعرف ليكون عوناً له وسنداً ، في التعليم والإفادة ، فمن كثرة أسئلتهم أدركت نقص ذخيرتهم .. وهم قد يعذرون ، لكن طلبة العلم والعارفين لا يعذرون في متابعتهم لأمثال هؤلآء ممن دخل الإسلام مجدداً ، بتعليمهم الإسلام طاهراً نقياً ، وخالياً من الخلافات المذهبية والانتماءات العرقية .

كانت دقائق سريعة قضيتها مع هؤلآء الخمسة ، وهم في شوق و لهفة لمعرفة أمور دينهم ، والسؤال عما يعترضهم في عباداتهم ؛ والتخوف على مصير أبنائهم ، لأنه لا يوجد في قريتهم وممن حولهم ، من يدين بالإسلام سواهم ، وتتفطر قلوبهم أسى وحسرة على آبائهم وأمهاتهم الذين لم يقبلوا الدخول في الإسلام بعد ، لحرصهم على هدايتهم ، واهتمامهم بانتشالهم من وهدة الضلالة إلى طريق الهدى .

شعرت في تلك الدقائق بدور هذا الدين في إصلاح النفوس ، وهيمنته على المشاعر ، وحرص المنتمين إليه على الخير وبسطه للناس .. ومفهوم لذة الإيمان .

إنه دين الرحمة والمحبة ، ودين الألفة والروابط المكيفة ، التي تربط القلوب ، فتتصافى ، ويؤلف بين الأفئدة فتتجاذب .. وهو مشهد يلمس





المرء له نظائر مع كل من دخل الإسلام مجدداً ، وأحس بلذته تلامس أوتار قلبه ، والمثل العربي يقول : وبضدها تتميز الأشياء .

## سمو الإسلام :

إن مكانة الإسلام في سلامة العقيدة ، والانتماء إلى مجتمعه ، والاستئناس بأهله ، تكمن في معرفة شرائعه ، وتطبيقها عملاً ، والحرص على ما يدعو إليه هذا الدين .. و هذا لا يدركه إلا من ذاق لذاذة الإيمان ، حيث كان دعاء كثير من السلف : اللهم أذقني حلاوة الإيمان ..

ذلك أن طعم الإسلام لمن أحبه ، وتغلغل في أعماق وجدانه ، له نكهة خاصة ، وعلامات مميزة ، يشعر بها أكثر من عاش في مجتمع للشر فيه صولة وجولة ، حيث يصبح المسلم المتمسك ، كالقابض على الجمر ، وتبرز علاماتها ، والمعالم الدالة عليها في أحاسيس من دخل الإسلام مجدداً ، وعاش في صراعات ومكابدة مع الأهل والأقرباء ، الذين يريدون ثنى عزيمته ، وإرجاعه إلى الضلالة التي خرج منها ، وتزيين المغريات ، وتجسيم الصغائر ، حتى يكره الإسلام ، ويرتد عنه ، و وضع العقبات التي تعزى أمامه إلى المنهج الجديد الذي اختار ، والدين الذي اعتنق ، حتى يشعر المرء في امتحانه هذا بالضيق والحرج والانعزالية فيرجع إلى دينه السابق ، ويتبرأ من الإسلام الذي دخل فيه مؤخراً ..

إنها مواقف عديدة لمسناها مع من تحدثنا معه ، ويلمسها غيرنا مع كل من يدخل الإسلام خاصة في المجتمعات التي يمثل المسلمون فيها أقلية ، ويشكل طلبة العلم بينهم ، ندرة كندرة الكبريت الأحمر ، لأن المسلم يعاني من أمور عديدة تتفاعل في نفسه ، وتؤرق أحاسيسه على نفسه وماله ، وعلى مصير أبنائه وزواج بناته .

وحلاوة الإيمان يحس بعمقها من تأصلت في أعماقه أركان الإيمان الستة ،

والإسلام الخمسة وسار عليها عقيدة وعملاً . كما أخبر بذلك رسول الله -ﷺ- بقوله في حديث رواه مسلم والترمذي عن العباس بن عبد المطلب -رضي الله عنه- قال : إنه سمع رسول الله -ﷺ- يقول : « ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً ، وبمحمد رسولاً .. فحلاوة الإيمان هنا في عمق الإحساس ، وأصالة العقيدة ، والرضا بالإسلام منهج سلوك ، والقناعة بأنه الدين الحق ..

وتأتي حلاوة الإسلام في الأمور العملية ، بتقديم طاعة الله على هوى النفس ، وترقب أجره سبحانه المدخر ، على الأهواء والرغبات والمصالح الدنيوية العاجلة ، و الزخارف الفانية ، و امتثال شرع الله برضا واستسلام ، كما نلمس ذلك في ثلاث صفات ، أخبر المصطفى -ﷺ- بأن من فعلهن ، فقد ذاق طعم الإيمان ، كما في حديث عبد الله بن معاوية الغاضري - رضي الله عنه - الذي أخرجه أبو داؤد ، قال : قال رسول الله -ﷺ- : « ثلاث من فعلهن فقد طعم طعم الإيمان : من عبد الله وحده ، وعلم أنه لا إله إلا الله ، وأعطى زكاة ماله طيبة بها نفسه ، رافدة عليه كل عام ، ولا يعطى الهرمة ، ولا الدرنة ولا المريضة ، ولا الشرط اللئيمة - أي الرذيلة من المال - ولكن من وسط أموالكم ، فإن الله لم يسألكم خيره ، ولا يأمركم بشره » . [أبو داؤد : ١/٢٢٣] .

إن من يتحدث إلى أمثال أولئك الذين دخلوا الإسلام مجدداً ، وصبروا على المعاناة الشديدة واهتموا بالتعلم والتطبيق ، يتبادر إلى ذهنه كثير من مواقف صحابة رسول الله -ﷺ- من حيث :

= الاهتمام بالدين وتعلمه ، فلقد كانوا يلازمون مسجد رسول الله -ﷺ- ، ويسألون عما يهمهم من الأمور التعبدية ، حتى ينفذوها براحة





نفس ، وقناعة ضمير .

= الحرص على العلم والفهم ، كما قال ابن مسعود - رضي الله عنه - : كنا اذا تعلمنا عشر آيات من كتاب الله لم نتجاوزهن حتى نفهم معانيهن ونحفظهن .

= تقديم طاعة الله ، وطاعة رسوله -ﷺ- على كل ما سواهما أخذاً من قول رسول الله -ﷺ- : لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به .

= اعتبار الأخوة في الدين أقوى من رابطة النسب ، والتفاني في تماسك أبناء المجتمع الإسلامي حيث آخى رسول الله -ﷺ- بين المهاجرين والأنصار ، فأنسوهم غربة الوطن ، والبعد عن الأهل ، بعد الهجرة التي تركوا من أجل دين الله ، والالتفاف حول رسول الله -ﷺ- الديار ، والأموال ، وقنعوا باليسير .

وغير هذا من المواقف الكثيرة ، التي صهرت نفوسهم ، وقوت عزائمهم ، ومكنت الإيمان من قلوبهم فكانوا غرة في جبين التاريخ ، يعتز كل مسلم بأن يتأسّى بطباعهم ، ويترسم خطاهم .

إن من يتحاور مع المسلمين الجدد ، يشعر بإحساس فياض ، ويتأثر من المواقف التي تعترضهم ، ويشعر بعمق الرغبة في الاستقصاء والسؤال .. وهذا مما يبشر بخير ، وأذكر منذ سنوات موقفاً مؤثراً عند ما تحدث مسلم أمريكي عن سبب إسلامه بعد صلاة المغرب في أول يوم من رمضان ، ومحبته لهذا الدين الذي ملك عليه مشاعره ، وسيطر على جميع أعماله بعد أن كان مجرماً متمرساً في فنه ، ما يكاد يخرج من السجن حتى يرجع إليه ، وإذا به متأثر من أحد الدعاة الذي زارهم في السجن وتحدث عن الإسلام ، ودوره في صلاح الفرد ، وانتظام مسيرة الجماعة ، وقد بكى وهو

يقارن حالة بحالة ، وخاصة أخوة الإسلام التي ربطته بجنسيات مختلفة ، عاملوه بلطف ، وأسمعوه كلمات التقدير والمحبة التي لم تقارع سمعه من قبل ، وما كادت خطواته تبلغ باب منزله حتى أسلمت زوجته وأولاده ثم تأسى به من عرف قصته ، حيث وجد عملاً شريفاً ، ولازم المسجد الوحيد في تلك المدينة في فراغه ، عبادة وسؤالاً وتعلماً ، إنه دين الإسلام الذي يغير الطباع ويهذب النفوس ويحمي المجتمعات من الشرور .

**الأعمال الصامتة :**

للمملكة العربية السعودية : حكومة وشعباً مواقف مشرقة في كل مكان يزوره الإنسان ، ويلتقي به بأقليات إسلامية ، من المساهمة الفعلية في بناء المساجد ، وتأسيس المدارس ، وتوزيع الكتب والمصاحف .. وهي أعمال يعترف بها كل منصف ، ويرى أثرها كل وافد ، بذلت في سبيل الله بهدوء وصمت ، ولم تتبع بمن أو أذى ، ولم تقدم بشروط أو التزامات مقيدة ، لأن من ينفق لله ، لا يريد الجزاء من غيره ، فخير الصدقة ما كان بخفاء ، كما في الحديث الشريف : « حتى لا تعلم شماله عما أنفقت يمينه » فالله جل وعلا يعلم السر وأخفى ، وهذه الأعمال لم تكن متكلفة ، أو يراد بها المحمدة ، بل هي جزء من الأعمال المتأصلة في النفوس ، والمندفعة من قاعدة الإيمان ... زادهم الله توفيقاً ، ورزقهم على الخير أعواناً ، وهي جهود تذكر فتشكر ، وأحاسيس تتفاعل في نفوس المسلمين ، حيث النتائج بارزة ، والجهود متظافرة .

.....



# أصول العلاقات الدولية
# بين الاسلام والتشريعات الوضعية

[الحلقة الثانية]

أ. د. محمد الدسوقي
أستاذ اللغة والأصول بكلية الشريعة - جامعة قطر

## ثانياً : أصول القانون الدولي في الإسلام :

أومأت في مستهل هذه الدراسة إلى عالمية الإسلام ، وأن هذه العالمية تثبتها المعجزة القرآنية ، والأحكام التي اشتملت عليها هذه المعجزة .

وقد أسلفت أيضاً أن الإسلام يقرر الحرية الدينية ، وأنه يرفض مبدأ الإكراه في اعتناقه ، وقد تمخض عن هذا أن كان الإسلام إقليمياً في تطبيق أحكامه ، وإن كان عالمياً من حيث أصوله وتعاليمه ، وذلك أن المسلمين الأوائل لإيمانهم الصادق بعموم دينهم ومسئوليتهم عن تبليغه إلى الناس قاطبة حملوا أرواحهم على أكفهم وانساحوا في الأرض لا يخشون إلا الله ، لقد جاهدوا في الله حق جهاده ، فنصرهم الله نصراً عزيزاً ، وفتح عليهم بلاداً كثيرة ، ولهذا انتشر الإسلام في فترة زمنية وجيزة في بقعة شاسعة من العالم ، ومع هذا ظلت هناك شعوب وجماعات وأفراد لا ترتضى الإسلام ديناً .

وقد نجم عن هذا الانتشار السريع للإسلام ، وبقاء أمم وأفراد أبت أن تؤمن به مشكلات مختلفة تتعلق بالعلاقة بين هؤلآء الذين رفضوا الإسلام ديناً وبين المؤمنين به .

وإذا كانت هذه المشكلات تختلف من حيث الزمان والمكان فإن أصول معالجتها كما قررها الإسلام واحدة ، ويقتضى بيان هذه الأصول الحديث في إيجاز عما يلي :

أ- الحرب في الإسلام .

ب- أنواع الديار .

ج- أصول العلاقات الدولية الإسلامية .

**أ- الحرب في الإسلام :**

إذا كان الإسلام دعوة عالمية ، وكان مع هذا ينهى عن الإكراه في الدين ، فلماذا أباح الحرب ، وحض على الجهاد ، وأعد في سبيله الأجر الجزيل ، والنعيم المقيم ؟

إن الحرب في الإسلام ليست أصلاً من أصوله ، ولا يمكن أن تكون وسيلة لحمل الناس على الإيمان به ، لأن الاقتناع الصادق القائم على الوجدان والبرهان عماد اليقين الراسخ ، ولا يتسنى لأية قوة في الأرض أن تفرض على إنسان عقيدة يأباها قلبه وينفر منها عقله ، فما هي الغاية إذن من الحرب في الإسلام ؟

إن من رحمة الله بعباده أنه لا يسألهم عما كتبه عليهم إلا بعد الإنذار إليهم ﴿ وما كنّا معذّبين حتّى نبعث رسولاً ﴾ (سورة الإسراء ، الآية : ١٥) وقد بلغ محمد -ﷺ- رسالة ربه إلى قومه ، كما بلغها إلى الأمراء والملوك في عصره عن طريق رسله وكتبه ، وفي هذا تأكيد لمبدأ عالمية الإسلام ، وأنه رسالة الله الخاتمة إلى الناس كافة ، وتوفي - عليه الصلاة والسلام - بعد أن ترك قومه على المحجة البيضاء ، وكان على هؤلاء العرب الذين اصطفى الله منهم خاتم رسله أن يحملوا هذا الدين إلى غيرهم من الأمم ، فالشرائع لا تلزم إلا بعد السماع (١) ، ومن ثم فإن غير العرب إذا لم تصل إليهم دعوة الإسلام فلا حجة عليهم ، وإنما تقع الحجة على الذين بلغتهم هذه الدعوة ، ثم قصروا في تبليغها إلى سواهم .

فمن أجل تبليغ الإسلام إلى الناس في كل زمان ومكان ، وحماية الدعوة

(١) انظر شرح السير الكبير للسرخسي : ج/٤ ، ص/٢٩١ ، ط. الهند .





إليه من القاسطين والمفسدين فرض الجهاد ، وكان ماضياً إلى يوم القيامة ، إنه جهاد من أجل حماية التبليغ ، فمن شاء بعد ذلك فليؤمن ، ومن شاء فليكفر ، فقد برهنت أحداث التاريخ على أن الطغاة لا يتركون الناس أحراراً فيما يدينون به ، أو يسمعون له ، وفي حياة الرسول -ﷺ- المثل الحي على ذلك فقد دعا قومه إلى عبادة الله وحده ، وترك عبادة الأصنام فآذوه واضطهدوه ، وعذبوا من صدقه واتبعه ، ثم أخرجوه وأصحابه من مكة .

إن مشركي مكة أرادوا الحجر على القلوب والعقول ، وأبوا أن يدعوا للناس الحرية في التفكير والاختيار ، فهم بهذا يحمون مبدأ الإكراه في الدين ، فلو ترك هؤلاء الكفار وشأنهم لطغى الباطل على الحق ، ولطمس النور الظلام ، فكان الإذن بالقتال وإعداد القوة لدفع هذا الظلم الذي تعرض له المؤمنون ، لأنهم قالوا ربنا الله ﴿ أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير • الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله • ولو لا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ﴾ (سورة الحج ، الآيتان : ٣٩-٤٠) .

فغاية الحرب الأولى في الإسلام تنحصر في تحرير الناس من الطغاة ، وحماية الضعفاء من الأقوياء ، حتى لا يكون في الأرض سلطان غير سلطان الحق تبارك وتعالى ، فلا تكون فتنة ويكون الدين كله لله .

ولأن غاية الحرب في الإسلام هي تحقيق الحرية الدينية ، وإنقاذ المستضعفين من براثن المتجبرين فإن هذا الدين قد لطف من حدتها وجعل لها قانوناً عادلاً ونظاماً محكماً وآداباً لم تعرفها البشرية في تاريخها الطويل ، وأكبر ما يسجل له من أمرها أنه لم يشرعها لنيل المغانم وفرض المغارم ، ولكنه جعلها وسيلة عند الضرورة لتبليغ كلمة الله ونشرها بين الأمم ، كما جعلها وسيلة لرد الاعتداء ، والدفاع عن

عقيدة الأمة وحريتها ، وعزة المؤمنين واستقلال وسلامة أوطانهم .

وما دامت الحرب ليست أصلاً من أصول الإسلام ، وليست غاية في ذاتها فإن أول ما يجب على المسلمين إذا ساروا إلى غيرهم هو البدء بالدعاء إلى الإسلام ، وهذا الدعاء قد يكون (١) موجها لقوم لم تبلغهم الدعوة فيجب إعلامهم حتى يكونوا على بينة من أمرهم ، وقد يكون موجها لقوم بلغتهم الدعوة ، ودعاؤهم مرة ثانية أمر مطلوب ، ففيه مبالغة في الإنذار بما ينفع ، وإشارة إلى أن الإسلام يؤثر السلم على الحرب في تبليغ دعوته ، فإذا استجاب هؤلاء طوعاً واختياراً لما دعاهم إليه المسلمون ، فهم إخواننا لهم ما لنا وعليهم ما علينا ، وإن أبوا ولم يستجيبوا فإن على المسلمين أن يدعوهم إلى الدخول معهم في عهد وميثاق ، ليصبحوا أهل ذمة لا يتعرض لهم في عقائدهم الدينية ، ويتمتعون بكل حقوق الحماية والرعاية في مقابل ضريبة مالية يسيرة لا تجب إلى على الرجال البالغين الأصحاء القادرين مادياً ، وذلك لغاية واحدة ، وهو أن يأمن المسلمون لهؤلاء ، فلا يظاهروا غير المسلمين على المسلمين ، فإن أبوا أن يدخلوا مع المسلمين في عهد وميثاق فقد جاهروا بهذا الرفض بالعداء ، وأعلنوا وقوفهم ضد رسالة التبليغ ، فكان قتالهم في هذه الحالة لتحرير الناس من التسلط والقهر ، ولتأمين طريق الدعوة إلى الله ، روى عن سليمان بن بريدة عن أبيه قال : « كان رسول الله -ﷺ- إذا أمر أميراً على جيش أو سرية أو صاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً ، ثم قال : أغزوا باسم الله في سبيل الله من كفر بالله ، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً ، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال أو خلال فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم .. فإن هم أبوا فسلهم الجزية فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ، وإن أبوا

---

(١) انظر المبسوط للسرخسي : ج/١٠ ، ص/٦ .





فاستعن بالله عليهم وقاتلهم .. » (١) .

وجاء في شرح السير الكبير للإمام السرخسي : « إن الكفر وإن كان من أعظم الجنايات فهو بين العبد وربه جل وعلا ، وجزاء مثل هذه الجناية يؤخر إلى دار الجزاء ، فأما ما عجل في الدنيا - وهو قتال الكفار - فهو مشروع لمنفعة تعود إلى العباد » (٢) .

وما قاله الإمام السرخسي يشير إلى أن القتال في الإسلام ليس للإكراه في الدين ولكن لتحقيق مصالح العباد بإنقاذهم من الطغاة المستبدين ، حتى يكون الطريق أمام دعوة الله خالياً من الأشواك والعقبات يسلكه من يشاء ، ويعرض عنه من أبي .

وإذا كان القتال في الإسلام لدفع فتنة الكفر وشر الكفار فإنه لا يجوز قتال إلا هؤلاء الذين يمثلون الفتنة ، ويمكنون للشر بالفعل أو بالقول ، ولهذا لا ينبغي قتل النساء والأطفال والمجانين والذين لا يخالطون الناس وترهبوا في الأديرة وكذلك الشيوخ الفانين ، لقوله تعالى : ﴿ وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ﴾ وهؤلاء لا يقاتلون ، فإذا شارك أحد منهم برأيه أو فعله في الحرب فقد أصبح مقاتلاً يجوز قتاله وقتله فيما عدا المعتوه ونحوه فإن على المسلمين أخذه ومنعه من المشاركة في الحرب (٢) .

وكما جاء النهي عن قتل غير المحاربين جاء النهي أيضاً عن الغدر والمثلة وحمل الرؤوس وقطع الأشجار وتخريب الديار ، وذبح المواشي إلا لضرورة اطعام الجند .

---

(١) رواه مسلم وابن ماجه والترمذي .. وانظر نيل الأوطار للشوكاني : ج/٨ ، ص/٥١ ، طبعة الدمشقي .

(٢) شرح السير الكبير : ج/٢ ، ص/١٨٢ .

(٣) شرح السير الكبير : ج/٢ ، ص/١٩٤-١٩٧ .

قال أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - في وصيته لجيش أسامة : « لا تمثلوا ولا تقتلوا طفلاً صغيراً ، ولا شيخاً كبيراً ، ولا امرأة ، ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا إلا لمأكله ، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع ، فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له » (١) .

إن وصية الخليفة الأول تعبير عن مبادئ الإسلام وآدابه في الحرب ، الحرب الإنسانية الخالصة لله ، الحرب التي لا تعرف ظلماً ولا قسوة ولا دماراً ، ولا اعتداء ولا غدراً ولا غلولاً ، الحرب التي تكفل حرية العقيدة للناس جميعاً ، وتحمي أماكن العبادة لكل الديانات ، إنها حرب العدل والرحمة والوفاء (٢) .

والحرب إذا وضعت أوزارها وانتهت فإنها تنتهي بأحد أمرين : إما الصلح (٣) ، وإما النصر، أما الصلح فالعهود فيه محترمة ، والوفاء بما تضمنته واجب ﴿ وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم • ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها • وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً ﴾ (سورة النحل ، الآية : ٩١) .

وأما النصر فهو انتصار الجماعة التي غضبت للحق ، واستشهدت في سبيله فلن تفعل حين انتصارها إلا ما يوطد أركان الحق في الأرض ، ويمنع البغي والفساد بين الناس ﴿ الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر • ولله عاقبة الأمور﴾ (سورة الحج ، الآية : ٤١) .

إن الانتصار نعمة تقابل بالشكر عليها ، وذلك بإقامة شرع الله في دنيا الناس ، شرع الطاعة الموصولة ، والتعاون على البر والخير ،

---

(١-٢) انظر « من روائع حضارتنا » للدكتور مصطفى السباعي : ص/٩٨ ، ط. المكتب الإسلامي .

(٣) قد يكون الصلح موادعة أو هدنة مؤقتة أو دائمة أو عقد ذمة .





ومكافحة الفساد والشر ، وكفالة العدالة للجميع .

ومن إقامة شرع الله في الأرض احترام آدمية الإنسان ، ومن ثم لا يلقى المهزوم عنتا وإهدارا لكرامته ، فالفار لا يتبع ، والجريح لا يذفف عليه بل يعالج ولا تساء معاملته ، والأسير لا يقتل ، ولا يكره بوسائل غير مشروعة للاعتراف بما لديه من معلومات عن العدو ، ويحير ولي الأمر فيه بما يراه أوفق لمصلحة المسلمين (١) ، وأكثر انسجاماً مع العرف الدولي في شأن الأسرى ، ما دام هذا العرف لا يتعارض مع المقررات الإسلامية في رعاية المصلحة العامة ، وحماية العزة والكرامة ، وتحقيق الوئام والسلام بين الناس .

وبهذا يتضح أن الحرب في الإسلام ضرورة ، وأنها تخضع لقانون العدل والإنصاف واحترام آدمية الإنسان ، وليست لإكراه الناس على الإيمان ، وما يذهب إليه جمهور المستشرقين ومن سلك سبيلهم من الباحثين من أن الإسلام دين انتشر بالسيف زعم باطل ، يرده انتشار الإسلام في بلاد كثيرة لم تدخلها الجيوش الإسلامية ، ثم انتشاره في العصر الحاضر في كل دول العالم .

إن الحرب في الإسلام حرب تعمير لا تدمير ، وهي في جوهرها ترسى دعائم السلم الدائم بين الناس ، لأنها تنقذهم من تجار الحروب ، والطامعين في خيرات الشعوب ، وأولئك الذين يكرهون سواهم على ما لا يبتغون .

[يتبع]

---

(١) انظر الفقه الإسلامي وأدلته للدكتور وهبه الزحيلي : ج/٦ ، ص/٤٧١ ، ط. دار الفكر .

الدعوة الإسلامية :

# نقد الغزو الفكري ومواجهته

[الحلقة السابعة]

بقلم : الدكتور أحمد عبد الرحيم السايح
الأستاذ المساعد بجامعة الأزهر وقطر

بعد أن اتضحت لنا أبعاد « الغزو الفكري » وتياراته ، وحركاته ، التي تعمل ليل نهار ، يبقى أمامنا السؤال الكبير : ماذا فعلنا نحن ؟ ما موقفنا من الغزو الفكري ؟ إن جزءاً كبيراً من الغزو الفكري ، حركة فكرية هائلة ، وما تنتجه هذه الحركة ، يخصنا نحن المسلمين ، ويخص عقيدتنا ، ولغتنا ، وتراثنا ، وتاريخنا ، وذاتيتنا .

وإن جزءاً كبيراً آخر من الغزو الفكري ، حركة عملية هائلة . تأخذ المواقع ، وتسيطر على القلوب .

والغزو الفكري بحركته الفكرية والعملية ، من أخطر ما نواجه في حياتنا ، لأن ما يقوم به من أهداف تقوض الدعائم يتعلق بأعمق أعماقنا عقدياً ، وفكرياً ، وحضارياً ، وليس هناك أمام المسلمين من سبيل إلا المواجهة وقبول التحدي وإثبات الذات ، وإلا فلسنا جديرين بالحياة .

ولا يخفى على أحد أن السعي إلى إثبات الذات ، والعمل على مواجهة هذه التحديات والتيارات الغازية دليل صحة ، ودليل صحوة .. - إذن - لابد من منهج .

والمنهج الصحيح هو أن نواجه الفكر بالفكر ، والعمل بالعمل ، ولما كان التخطيط الاستشراقي منبعاً لكثير من التيارات ، والتحرك التبشيري غزواً عملياً للمجتمعات ، كان علينا أن نواجه هذين التيارين في قوة





وحزم .

## أولاً : مواجهة الفكر الاستشراقي :

لا شك أن الاستشراق كان ولا يزال يشكل الجذور الحقيقية ، التي تقدم المدد للتنصير والاستعمار ، والعمالة الثقافية ، ويغذى عملية الصراع الفكري ، ويشكل المناخ الملائم ، لفرض السيطرة الاستعمارية على الشرق الإسلامي ، وإخضاع شعوبه .

فالاستشراق هو المنجم ، والمصنع الفكري ، الذي يمد المبشرين والمستعمرين ، وأدوات الغزو الفكري ، بالمواد التي يسوقونها في العالم الإسلامي ، لتحطيم عقيدته ، وتخريب عالم أفكاره ، والقضاء على شخصيته الحضارية التاريخية (١) .

لقد تطورت الوسائل ، وتعددت طرق المواجهة الثقافية الحديثة ، ويكفي أن نشير إلى مراكز البحوث والدراسات ، سواء أكانت مستقلة أم أقساماً للدراسات الشرقية ، في الجامعات العلمية ، وما يوضع تحت تصرفها من الإمكانات المادية ، أو المبتكرات العلمية ، والاختصاصات الدراسية ، تمثل الصور الأحدث فيتطور الاستشراق ، حيث تمكن أصحاب القرار من الاطلاع والرصد ، لما يجري في العالم يومياً (٢) .

ففي القارة الأمركية وحدها ، حوالي عشرة آلاف مركز للبحوث والدراسات ، القسم الكبير منها متخصص بشئون العالم الإسلامي ، و وظيفة هذه المراكز تتبع ورصد كل ما يجري في العالم ، ومن ثم دراسته وتحليله ، مقارناً مع أصوله التراثية التاريخية ، ومنابعه العقدية ، ثم

---

(١) انظر : عمر عبيد حسنة ، مقدمة كتاب الأمة رقم ٢٧ ، ص/٢٢ .

(٢) المصدر السابق : عدد/٢٧، ص/٩

مناقشة ذلك مع صانعي القرار ، لتبنى على أساسه الخطط ، و توضع الاستراتيجيات الثقافية ، والسياسية ، وتحدد وسائل التنفيذ (١) .

وإن الباحث في مؤسسات الاستشراق ، و وسائلها المختلفة ، يجد أنها استطاعت ، أن تؤثر في العقلية الإسلامية ، فهذه دائرة المعارف الإسلامية تعد أكبر مصدر للمعلومات والحقائق الإسلامية ، وأثمن ذخيرة لها ، وتعتبرها بعض البلاد الإسلامية اليوم ، أساساً للمعلومات الإسلامية ، وتقوم بترجمتها إلى لغاتها بنصها وروحها (٢) .

ولقد نجحت العقلية الأوربية الاستشراقية ، في فرض شكليتها وآليتها على التحقيق ، والتقويم ، والنقد والسيطرة على مصادر التراث العربي الإسلامي ، ويمكن القول بأن معظم الكتابات العربية المعالجة للتراث ، قد سارت على هذا النهج في التاريخ ، والأدب ، وغيره .. ولم تتجاوزه إلا في القليل النادر ، و انتهت إلى إيجاد ركائز عربية معبرة عنها ، ومتبنية لوجهة نظرها ، ومدافعة عن المواقع الثقافية التي احتلتها ، حتى في الجامعات ، والمؤسسات العلمية ، لا يزال الخضوع والاحتكام للقوالب الفكرية ، التي اكتسبها بعض المثقفين العرب ، من الجامعات الأوربية (٣) .

. وبجانب كل هذا فإن الاستشراق يذهب إلى محاولة إلغاء النسق الإسلامي ، ومحاولة تشكيل العقل المسلم ، وفق النسق الغربي الأوربي ،

---

(١) المصدر السابق : عدد/٢٧، ص/٩ .

(٢) الشيخ أبو الحسن الندوي ، الإسلام والمستشرقون ، مجلة المنهل : عدد/٤٧١ ، ص/٢٦ .

(٣) الأستاذ عمر عبيد حسنة ، مقدمة كتاب الأمة : العدد رقم ٢٧، ص/١٤ .





وإنجاب تلامذة من أبناء العالم الإسلامي ، لممارسة هذا الدور والتقدم ، باتجاه الجامعات والمعاهد ، ومراكز الدراسات والإعلام ، والتربية ، في العالم الإسلامي ، لجعل الفكر الغربي ، والنسق الغربي هو المنهج ، والمرجع ، والمصدر ، والكتاب (١) .

ومما يلحظه الباحث بوضوح : أن عمليات الاستشراق والتغريب ، لم تستسلم ، ولم تلق السلاح ، لكن لما أعياها السعي ، فبدل أن تقر بفساد نظرياتها ، وطروحاتها ، وعدم إمكانية القبول لها في العالم الإسلامي ، تحاول اليوم أن تعتبر أن المشكلة والعلة ، في بنية العقل المسلم أصلاً ، لتأتي على البنيان الإسلامي من القواعد ، وترسب في النفوس أن السبب في التخلف ، والعجز ، والتخاذل الثقافي ، وعدم القدرة على الإبداع ، وقبول الفكر الغربي ، هو في بنية هذا العقل ، وتكونه ، وميراثه الثقافي .

فهو عقل مولع بالجزئية ، وعاجز عن النظرة الكلية للأشياء ، وهو عاطفي يحب الإثارة والانفعال ، ويعجز عن الفعل ، وهو محكوم أيضاً بموروث ثقافي ، لا يستطيع الفكاك منه ، فهو لا يفكر بطلاقة ، وحرية ، لأنه محكوم بوحي مسبق ، وهو يقوم على منهج التفكير الاستنتاجي ، ويعجز عن التفكير الاستقرائي ، وهو معجب بالمنهج البياني ، وعاجز عن المنهج البرهاني ، وهو يخلط بين الواقع المعاش ، والمثال الخيالي ، وصاحبه يحب الثأر ، ويغرق في الملذات ، وأن الإسلام الذي يكون هذا العقل هو دين أمر ونهي ، وزجر وكبت للحرية ، وإلغاء للإجتهاد ، الأمر الذي أدى إلى التقليد وفقدان الشخصية ، والقدرة على الإبداع (٢) .

---

(١) المصدر السابق : ص/١٦ .

(٢) المصدر السابق : ص/٢٧-٢٨ .

ولابد أن نعترف بأن الاستشراق يستمد قوته من ضعفنا ، و وجوده نفسه مشروط بعجز العالم الإسلامي عن معرفة ذاته ، فالاستشراق في حد ذاته كان دليل وصاية فكرية ، ويوم أن يعي العالم الإسلامي ذاته ، وينهض من عجزه ، ويلقى على كاهله أثقال التخلف الفكري والحضاري ، يومها سيجد الاستشراق نفسه في أزمة وخاصة الاستشراق المشتغل بالإسلام ، ويومها لن يجد الجمهور الذي يخاطبه ، لا في أوربا ، ولا في العالم الإسلامي ، ولا يجوز لنا أن ننتظر من غيرنا - أياً كان هذا - أن يساعدنا على النهوض من كبوتنا (١) .

وإذا كان علينا أن نضع عن أنفسنا أغلال الوصاية الفكرية ، فإن علينا من ناحية أخرى ، أن نتحرر من عقدة التخلف ، التي تسيطر علينا ، في جميع مناحي حياتنا ، والتي تسد علينا منافذ الأمل ، في الخروج من أزمتنا ، فقد تحررنا من الاستعمار العسكري ، ولكننا لم نتحرر من القابلية للاستعمار ، ولهذا فإن نظرتنا لكل ما يأتي من الغرب ، هي نظرة التقدير ، والإكبار ، حتى وإن كان هذا الذي يرد إلينا ، متمثلاً في أزياء غريبة عن أذواقنا ، وتقاليدنا (٢) .

وحتى نكون في مستوى الحوار الفكري ، والتبادل المعرفي ، ونوقف فعلاً الغزو الفكري والاختراق الاستشراقي ، لابد أن نكون قادرين على امتلاك الشوكة الفعلية .. أن نكون قادرين على الإنتاج الفعلي ، لمواد ثقافية ، تمثل ثقافتنا ، وتأتي استجابة لها ، وتغرى الناس بها ، وبذلك

(١) الدكتور محمود حمدي زقزوق ، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري : ص/١٢٧-١٢٨ .
(٢) المصدر السابق : ص/١٢٨ .





وحده نكون في مستوى الحوار ، والتبادل المعرفي ، فالمواجهة لا تكون بإدانة الآخرين ، والنظر إلى الخارج دائماً ، وإنما تبدأ حقيقة من النظر إلى الداخل أولاً لملأ الفراغ بعمل بنائي مستمر ، وتحصين الذات (١) .

وقد لا يكون المرء مجانباً للصواب ، إذا قال : إننا إذا لم نتصدى للتيار الاستشراقي بكل قوة ، فسوف نتعرض للانسلاخ والذوبان ، لا محالة والمعركة بين الاستشراق والإسلام معركة فكرية هائلة ، جند لها المستشرقون كل المعاول التي تحاول أن تهزم المسلمين ، وتبعدهم عن إسلامهم .

وإن الإنسان الذي يتابع النشاط الاستشراقي ، قد يلحظ بوضوح ، أن هذا النشاط يمثل قمة التحدي للفكر الإسلامي ، وقد يكون معروفاً لدى الباحثين : « أن التيارات الفكرية الأجنبية القديمة - التي كانت تمثل تحدياً للإسلام ، والفكر الإسلامي الأصيل ، في عصور الإسلام الزاهرة - كانت تحافزاً للمسلمين ، في تلك الأيام الخوالي ، للوقوف أمامها بقوة وصلابة (٢) .

وقد رأى الإمام الغزالي ، في عصره ، أن التيارات الفلسفية ، يتردد صداها في الأرجاء وأنها تصول ، وتجول ، في تحد سافر ، للفكر الإسلامي ، والمسلمين ، فلم يقف الغزالي موقف المتفرج ، ولم يسب ، ويشتم ، ويصرخ ، ويولول ، ولم يرغب أن يترك الأمر ، ويقول لا شأن لي به ، ولكنه عزم على خوض المعركة ، فأعد العدة ، واتخذ لها الأدوات من

(١) عمر عبيد حسنة ، مقدمة كتاب الأمة : العدد رقم ٢٧ ، ص/٢٩ .
(٢) الدكتور محمود حمدي زقزوق ، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري : ص/١٢٤ .

العلم والمعرفة بما عند هؤلاء .

وقد رأى أن يتقن الفلسفة ، ويتفرغ لقضاياها ، ويتعرف على مقاصد الفلاسفة ، واستطاع في دقة واتقان أن يخرج كتابه : «مقاصد الفلاسفة» وكان ما قام به هو الخطوة الأولى في منهج المواجهة للفكر الفلسفي ، ثم جاءت الخطوة الثانية بعد ذلك ، بالكشف عما في « مقاصد الفلسفة » من تناقض للفكر ، ومخالفة للمنطق والعقل ، وتعثر في المقاصد ، فكان كتاب « تهافت الفلاسفة » يمثل قمة المواجة .

واستطاع بهذا المنهج النقدي أن يواجه المعركة ، ويخوض غمارها ، في قوة ، ودقة ، ويقول الغزالي معبراً عن ذلك المنهج : « ثم إني ابتدأت - بعد الفراغ من علم الكلام - بعلم الفلسفة ، وعلمت يقيناً و أنه لا يقف على فساد نوع من العلوم ، من لا يقف على منتهى ذلك العلم ، حتى يساوي أعلمهم في أهل ذلك العلم ، ثم يزيد عليه ، ويجاوز درجته ، فيطلع على ما لم يطلع عليه صاحب العلم ، من غوره وغائله ، وإذ ذاك يمكن أن يكون ما يدعيه من فساده حقاً ، ولم أر أحداً من علماء الإسلام ، صرف عنايته وهمته إلى ذلك » (١) .

وإذا كان الغزالي ، قد استطاع أن يواجه الفكر الفلسفي ، في عصره ، فإن الأمر بالنسبة للاستشراق يحتاج إلى جهود أفراد ومؤسسات ، فمكتبات العالم مليئة بإنتاج المستشرقين ، وبشتى اللغات الإنسانية ، وهناك عشرات المجلات ، ومئات المؤسسات التي ترعى الاستشراق ،

---

(١) الإمام الغزالي ، المنقذ من الضلال : ص/٩٢ ، تقديم الدكتور عبد الحليم محمود ، ط. دار الكتاب اللبناني ، بيروت ١٩٨٥م .





وتعمل لخدمة المستشرقين ، وهناك أيضاً آلاف العلماء والباحثين ، من المستشرقين ، الذين يتفرغون لبحوثهم ودراساتهم ، وهناك المؤتمرات الاستشراقية العالمية التي تعقد حسب الحاجة في العواصم العالمية .

ولقد كان لحركات الفكر الاستشراقي منذ القرن الثامن عشر ، قوة دفع ، ورواج واستقطاب ، أثارت اهتمام رجال الفكر الإسلامي ، بما كتبه المستشرقون عن الإسلام ، في الكتب ، والمجلات ، والموسوعات ، وعن مصدريه الأساسيين : القرآن الكريم ، والسنة النبوية ، وعن النبي -ﷺ- الذي بعثه الله بهذا الدين الحنيف (١) ، ومواجهة التحديات الاستشراقية ، ضرورة لابد منها ، إن كنا نريد الحفاظ على عقائدنا ، التي جاء بها الإسلام ، وكنا نريد الحفاظ على ذاتيتنا ، وشخصيتنا ومواجهة الاستشراق في مجال العقيدة الإسلامية وغيرها يحتاج - كغيره - إلى بذل جهود صادقة ، ومخلصة ، لرد هذه الطعون المفتراة ، حتى لا يأتي زمن نجد أنفسنا فيه ، بألسنة غير ألسنتنا ، نردد ما يقوله المستشرقون ، دون وعي أو دون أن نحس أننا مسلمون لنا عقائدنا وشخصيتنا .

[يتبع]

---

(١) الدكتور التهامي نقرة . القرآن والمستشرقون : ص/٢١ ، من كتاب « مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية - الجزء الأول » ط. مكتب التربية العربي لدول الخليج ، الرياض ١٩٨٥م .

# العقيدة الإسلامية وأثرها في بناء الإنسان

[الحلقة الثانية الأخيرة]

بقلم : الدكتور شوكت محمد عليان

## الأصل الرابع : الإيمان بالرسل :

اقتضت حكمة الله جلت قدرته وعلت عظمته في إصلاح ما يقع في الأرض من فساد ، وضلال بين الناس نتيجة انحراف الناس عن مسالك الهدى والخير ، أن يبعث في كل أمة رسولا ، يعلمهم الكتاب والحكمة ويدعوهم إلى عبادة الله تعالى وحده ، قال تعالى : ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ (سورة النحل ، الآية : ٣٦) ، ومن أجل وحدة دعوة الرسل - عليهم الصلاة والسلام - دعا الإسلام الناس إلى التصديق بجميع رسل الله وعدم إنكار أحد منهم قال تعالى : ﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كلّ آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله ﴾ (سورة البقرة ، الآية : ٢٨٥) ، كما أمر الإسلام باعتقاد أن هؤلاء الرسل كانوا متصفين بأفضل الصفات البشرية من أمانة وصدق وفطنة وذكاء ، منزهين عن الرذائل والنقائص من خيانة وكذب ونحوهما ، قال تعالى : ﴿ وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين ﴾ (سورة الأنبياء ، الآية : ٧٢) .

فلو ترك الناس وشأنهم لالتبس عليهم الأمر في معرفة الخير والشر ، ولما أمكن التمييز بين ما هو حسن وما هو قبيح ، ولا بين الفضيلة والرذيلة ، لذلك كله فإن العقل البشري محتاج في إرشاده إلى ما هو خير له في الحياتين إلى معين يستعين به في بيان وجه الاعتقاد بالله





وصفاته وتحديد أنواع الأعمال ، وبيان النافع منها والضار ، وبيان ما ينبغي أن يعرفه من الحياة الأخرى .

يعني أن العقل البشري بحاجة إلى من يعينه في تحصيل وسائل السعادة في الدارين ، وهذا المعين يجب أن يكون من جنس البشر ﴿ لقد منّ الله على المؤمنين ٠ إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلالٍ مبينٍ ﴾ (سورة آل عمران ، الآية ١٦٤) .

فإن قيل : ما مكانة العقل في مجال العقيدة ما دمنا بحاجة إلى الرسل .

قلنا : العقل أساس التكليف ، ولا يمكن أن يأمر الإسلام بشئ ، وينهى عنه في نفس الوقت ، والشارع قد أمر بإيقاف العقل البشري عند حدوده ، وإبقائه في نطاق مهمته ، لأن العقل إذا جنح وتجاوز الحد تعايش مع الخيال والوهم ، وليس واحد منهما يصلح أساساً للمعرفة الصحيحة .

ثم إن العقل دل على صدق الرسل ، ومعنى صدقهم وجوب تصديقهم فيما أخبروا به والعمل بما دعوا إليه .

ومن جملة ما أخبرنا به الرسول محمد -ﷺ- ما دعا إليه الرسل السابقون من الدعوة إلى توحيد الله ، وهذا يعني بالضرورة أن المصدر الوحيد لمعرفة معاني العقيدة هو القرآن والسنة النبوية ، ومنهما تستقى جميع أنواع الثقافات .

## أثر الإيمان بالرسل في حياة الإنسان :

رسل الله تعالى معصومون من الشرك والكفر ، ومن سوء الأفعال والأقوال ، ومعصومون كذلك من التأثر بالأهواء والعواطف إلى حد يخرج بهم عن حدود الأخلاق .

وإذا كان ذلك ، فهم القدوة الحسنة ، والمثل الأعلى الذي ينبغي أن يتطلع نحوه كل إنسان ، قال تعالى : ﴿ أولئك الذين هدى الله فبهداهم

اقتده ﴾ (سورة الأنعام ، الآية : ٩٠) ، وقال سبحانه : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوةٌ حسنةٌ ﴾ (سورة الأحزاب ، الآية : ٢١) .

وبالرسل يهتدى الإنسان إلى العلم الصحيح والفهم الدقيق ، ويأخذ العظات من قصص الأولين ، ومن قصص الموت والقيامة وما أدراك ما يوم القيامة .

وكذلك يتعرف الإنسان على السبب الحقيقي الذي من أجله خلق ، فيعرف قيمة الحياة ، وما تهدف إليه : ﴿ قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ﴾ (سورة الأنعام ، الآية ١٦٢) ، والرسول -ﷺ- تعرض لكثير من صنوف الأذى ، شأنه في ذلك شأن غيره من الرسل السابقين ، وقد صبروا جميعاً فنالوا بذلك حسن الدارين .

فالعاقل يكون أكثر صبراً على مشاق الحياة ، وأكثر تحملا لأعبائها وتهون عليه النفس والاهلون في سبيل طاعة الله وحبه لرسوله -ﷺ- .

**الأصل الخامس : الإيمان باليوم الآخر :**

الإيمان بالله تعالى يحقق المعرفة بالمصدر الأول الذي صدر عنه الكون ، والإيمان باليوم الآخر يحقق المعرفة بالمصدر الذي ينتهى إليه هذا الوجود ، وعلى ضوء المعرفة بالبداية والنهاية يستطيع الإنسان أن يتخذ من الوسائل ما يصل بها إلى الهدف ويبلغ الغاية .

لليوم الآخر أسماء كثيرة ورد ذكرها في القرآن الكريم ، فمن ذلك :

يوم البعث : لأن الموتى يبعثون فيه من قبورهم .

يوم الحساب : لأن الناس يحاسبون فيه على ما عملوا في دنياهم .

يوم الفتح : ويحكم الله تعالى فيه بين عباده بالحق .

يوم الدين : يعني يوم الجزاء .

يوم الحسرة : لأن الكفار فيه يتحسرون على ما فاتهم من الإيمان بالله .





يوم الخلود : لخلود أهل الجنة في نعيمها ، وأهل النار في جحيمها .

فيجب أن يعتقد كل إنسان بوجود حياة أخرى غير هذه الحياة ، وذلك بعد أن يبعث الله الخلائق بعد موتهم للحساب والجزاء ، قال تعالى : ﴿ زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قال بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير﴾ (سورة التغابن ، الآية : ٧) .

وقال جل شأنه : ﴿ قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله حتى إذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها ﴾ (سورة الأنعام ، الآية : ٣١) .

وقال سبحانه : ﴿ قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر﴾ (سورة التوبة ، الآية : ٢٨) .

هذا ولا يعلم أحد من الخلائق باليوم المحدد - المعلوم - لقيام الساعة وقد أورد القرآن الكريم بعض النصوص القاطعة بأن الله وحده الذي يعلم ذلك : ﴿ إليه علم الساعة ﴾ (سورة فصلت ، الآية : ٤٧) .

وإخفاء الله تعالى أمر الساعة لحكمة أرادها سبحانه ، ثم هو ادعى إلى الطاعة وازجر عن المعصية .

**أثر الإيمان باليوم الآخر في حياة الإنسان :**

إذا اعتقد الإنسان بوجود الله تبارك وتعالى وأنه يراقبه في أقواله وأفعاله ويحاسب على ذلك ، فإنه يتوخى عقاب الله بالابتعاد عن كل مامن شأنه أن يعرضه للعقاب ، فتكون أعماله وأقواله حسنة حميدة ، بعيدة عن كل نقص ورذيلة ، خشية سخط الله وغضبه ، وخصوصاً إذا اعتقد هذا الإنسان بأن الملائكة يسطرون عليه كل صغيرة وكبيرة اقترفها ، وان الله تعالى وكل إليهم أمر ذلك ، فإنه يخيفه الذنب اليسير ، ويحاسب نفسه على كل ما يصدر منها ، وتجده متواصل الأحزان دائم الفكرة ، سريع العبرة ، شديد الخوف من الله ، لا يكاد يهدأ إلا إذا أقبل على الله

بفعل الطاعة .

فالإيمان باليوم الآخر يحقق نجاحاً وفلاحاً للنفس البشرية وفوزاً لها في الدارين وإن خفي عليها شئ من ذلك ، قال تعالى : ﴿ عسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم ﴾ (سورة البقرة ، الآية : ٢١٦) .

**الأصل السادس : الإيمان بالقضاء والقدر :**

القضاء لغة : يرد بمعاني كثيرة فمنها الحكم والأمر قال تعالى : ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه ﴾ ، ويرد بمعنى الفعل قال تعالى : ﴿ فاقض ما أنت قاض ﴾ .

القضاء اصطلاحاً : علم الله المحيط بما كان وبما يكون وبما هو كائن إلى يوم القيامة .

القدر لغة : القسمة والتقدير ، ومنه قدرت الثوب فانقدر أي جاء على مقدار ، وفي القرآن الكريم ﴿ إنا كل شئ خلقناه بقدر﴾ (سورة القمر، الآية : ٤٩) ، ﴿ و القمر قدرناه منازل ٠ و خلق كل شئ فقدره تقديراً ﴾ (سورة الفرقان ، الآية : ٢) .

القدر اصطلاحاً : وقوع الحوادث في الأزمنة والأشخاص طبقاً لما في علم الله وإرادته .

معنى الإيمان بالقضاء والقدر :

الاعتقاد بأن ما يصيب الإنسان من خير أو شر واقع حسب علم الله وتقديره وإرادته .

يعنى أن الله تعالى سبق علمه بكل مخلوق ، وشاء وجوده ، وأوجده وفق ما قدره له ، وشاء ما يصدر عنه بعد وجوده .

ومما يجب التنبيه إليه أن علم الله تعالى بما سيقع من عباده و وقوعه منهم حسب هذا العلم والتقدير لا يعنى أن العباد مجبرون في أفعالهم ،





ملزمون بالاتيان بها وإلا بطل الثواب والعقاب والأمر والنهي والوعد والوعيد ، فالإنسان هو الذي يخط أفعاله بنفسه متخذاً الطريق الذي يراه ، قال تعالى : ﴿ فمن يعمل مثقال ذرةٍ خيراً يره ٠ ومن يعمل مثقال ذرةٍ شراً يره ﴾ (سورة الزلزلة ، الآيتان : ٧-٨) .

**أثر الإيمان بالقضاء والقدر في حياة الإنسان :**

إن من خصائص المعرفة في الإسلام أنها تؤثر في سلوك الإنسان سواء كان ذلك بصورة مباشرة أو غير مباشرة ، والذي يعنينا في هذا المقام هو معرفة مدى تأثير الإيمان الصحيح بالقضاء والقدر في سلوك الإنسان في مختلف أنشطة الحياة سواء في نفسه أو في علاقاته مع الآخرين .

وحيث أن الإنسان لا يستطيع العيش منفرداً ، بل لابد له من جماعة يتبادل معها شئون الحياة ، ومن هنا نشأ المجتمع ، وتداخلت المصالح المشتركة ، وتعددت الرغبات ، وتولدت غرائز الانتفاع ، وحب الغلبة والانتقام والانتصار على الغير .

والإيمان بالقضاء والقدر يورث في الإنسان سلوكاً مستقيماً ، قائماً على الصدق والأمانة ، ويورث القوة والشجاعة ومواجهة الأعداء حيث تجب المواجهة لأن أقصى ما يمكن أن يناله من الأعداء هو القتل ، وهذا لا يكون إلا عند تمام الأجل وانتهاء حياة الإنسان في هذه الدنيا .

والإيمان بالقضاء والقدر يحفظ المؤمن من الغرور المهلك عند الغلبة ، ويحفظه من الحزن المهلك عند الهزيمة ، قال تعالى : ﴿ ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير﴾ (سورة الحديد ، الآية : ٢٢) .

والإيمان بالقضاء والقدر يدفع المؤمن إلى طاعة الله وإلى تصحيح إيمانه بالله وقبوله عنده تعالى ، فلا يتم إيمان لإنسان حتى يؤمن بكل هذه الأصول التي ذكرناها .

والإيمان بالقضاء والقدر يدفع المؤمن إلى العفو والصفح عمن أساء إليه ، حيث يؤمن المؤمن بأن ما أصابه من هذا الغير مقدور عليه ، وإنما كان الغير الذي وقع منه الضرر واسطة لوصول هذا الضرر .

وصاحب هذا الاعتقاد يعلم يقينا أن الأمر كله بيد الله تعالى خلقاً ومشيئة وتقديراً وإيجاداً ، إذا كان ذلك كذلك ، فالمستعان على حصول المراد أو دفع المراد هو الله تعالى وحده لا غير ، ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ فإذا استعان المؤمن بالله وباشر السبب وحصل المقصود فهذا من فضل الله ، وان لم يحصل المقصود لم ييأس المؤمن ، فقد يكون في عدم حصول مطلوبه خير له لا يعرف وجهه ﴿ وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم ﴾ (سورة البقرة ، الآية : ٢١٦) ، فالمؤمن تجده يباشر الأسباب بيده ولكن اعتماده على الله تعالى وحده لا على السبب ، وحين يقدم المؤمن إلى فعل الحسنات وعمل الصالحات يعلم يقينا بأن ذلك إنما هو بمحض فضل الله وإرادته ، وهذا يؤدي بدوره إلى قمع نزعات الكبر والغرور والعجب بنفسه والمن على الناس ونحو ذلك من الأقذار القلبية ، كما يترتب عليه طهارة قلبه من أرجاس كثيرة ، وبالتالي يستقيم سلوكه وتزكو أخلاقه .

والإيمان بالقضاء والقدر يعود النفس الصبر عند المكاره ، وقد تقع هذه المكاره بلاء وفتنة والابتلاء لما فيها من امتحان للعبد في هذه الدنيا ، فالدنيا وكما نعلم دار ابتلاء ، ولا ينجو أحد من مصائبها ، فالموت مثلا لابد منه ، وفيه فراق الأحبة ، والمؤمن الذي وقعت له المصيبة يستحضر حالاً في ذهنه قضاء الله وقدره ﴿ ما أصاب من مصيبة إلا باذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه ﴾ (سورة التغابن ، الآية : ١١) ، وفي الحديث الشريف : « واعلم ان ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك » و بهذا تهدأ نفس المؤمن بالقدر فيرضى ويسلم .





وملخص ما ذكرنا أن الإيمان بالقضاء والقدر فيه :

١- صحة الإيمان وقبوله عند الله تعالى .

٢- رضا الإنسان المستمر على كا ما يجرى في الحياة الدنيا .

٣- الإقدام على المخاطر في سبيل الله إيماناً بأن الموت والحياة بيد الله .

٤- بيان سعة الرزق وضيقه وأنه إنما يقع بقضاء الله .

٥- تعويد النفس الصبر وتحمل الأذى والعفو والصفح عمن أساء إليها .

٦- بيان لما يجري للمؤمن من أحداث في هذه الدنيا وان ذلك كله خير .

وبعد فتلك هي بعض آثار الإيمان الصحيح بالقضاء والقدر في سلوك الإنسان في علاقاته مع الآخرين وموقفه من أفعاله وما يقع له من مصائب ، ومنها يتبين أن أمور العقيدة في الإسلام هي الأصل في نوع سلوك الإنسان ومواقفه من أحداث الحياة .

إن هذه الثقافة التي تقوم على الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وقضائه تعالى وقدره لا شك أنها تنشئ في النفس الإنسانية ثقة مرتكزة على يقظة ذاتية وحيوية داخلية ، تدعو تلك النزعة الفطرية إلى الاستقامة وتدفع بالإنسان إلى حسن الأخلاق والسيرة والسلوك ، فلا يحتاج الإنسان إلى رقابة خارجية ، فالوازع عنده والموجه له هو الاعتقاد الجازم الذي يحمله قلبه ويقربه لسانه ، وهنا يظهر الفارق بين المؤمن الذي يحمل في نفسه القوة الدافعة إلى العمل المستقيم ، وبين الإنسان الذي يضع في اعتباره - عند إرادة عمل ما - قوة القانون الذي يضع مواده ولاة الأمور بشتى الوسائل والسبل ، بمعنى أن الأول يظل منقاداً للوازع الديني الذي يهيمن على قلبه ويظل مرتبطاً كذلك بالقيم الإسلامية ، بينما قد يفلت الثاني من طائلة القانون إما بشفاعة ذوى الجاه والحسب ، وإما بتهاون ولاة الأمر في تطبيق القانون ، وبالتالي فإن الإنسان والحال كذلك يتهاون هو أيضاً في أداء ما كان ينبغي أن يؤديه وما يفرضه عليه هذا القانون ، وقد يترتب على ذلك ضياع حقوق

وظلم عباد ، وفي ذلك شر وفساد .

وبعد فتلك الثقافة الإسلامية تقوم على أصول اعتقادية وتهذيبية وتشريعية تتلاقى جميعاً في منهج تكاملي يصلح من شأن الإنسان ، ويعمل على إسعاده في الدنيا والآخرة .

هذا وإننا نرى أن العنصر الأخلاقي فيها أصيل و واضح ، كما أنه السمة البارزة في سيرة رسول الله -ﷺ- ، وسيرة صحابته الكرام - رضوان الله عليهم أجمعين - وفي هذا التعاون الوثيق والتساند المحكم بين التوجيه والقدوة والإرشاد والتطبيق يشاد البناء الأخلاقي على أمتن الأسس ، ويبلغ في القوة والإحكام .

قال تعالى : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً ﴾ .

ونلمس أثر هذا العنصر الأخلاقي في الدعوة الدائمة الملحة إلى الأخلاق الكريمة من أمانة و وفاء ، وعدل ، وبر وإحسان ،و وفاء بالوعد ، وصيانة للعهد ، والتحذير الدائم من الصفات السيئة كالغدر والخداع ، والظلم والاعتداء والغش ، وغير ذلك مما تأباه الطباع الكريمة .

ولا يقف الأمر عند حدود التوجيه والترغيب ، أو النقد والتحذير ، بل يتجاوز ذلك إلى التنفيذ والالتزام في التشريع والأحكام ، لتكون المسئولية الفردية والجماعية أساس الحماية والتطبيق لهذا الجانب الأخلاقي في حياة الأفراد والجماعات ، وليكون هذا الجانب الأخلاقي الروح الحية الفعالة في أعماق ضمائر المؤمنين ، والمحور الذي ينظم سلوكهم في حياتهم الخاصة ، و واقعهم الاجتماعي .

قال -ﷺ- : « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان :

أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار » .

فهذه ثلاث خصال يتحلى بها الذي تذوق طعم الإيمان ، فأشرق في قلبه فتجلى منه العمل الصالح ، فيقبل :





أولاً : على ربه بمحبته أي بطاعته ، وتحمل المشاق في سبيل تحقيقها والسبق في جنى ثمارها ، والإكثار من ذكره تعالى واستغفاره ، وشدة الخوف منه ، وترك زخارف الدنيا ، والرغبة في شهواتها والابتعاد عن المعاصي .

ومحبة الرسول -ﷺ- إقامة شعائر دينه ، وكثرة الصلاة عليه ، ونصر دينه ، ودعوة الناس إلى اتباعه ، والعمل بسنته .

ثانياً : محبة خلق الله والشفقة عليهم ، والذب عن حياضهم ، والميل إلى صالحهم ، فيرى الفرد نفسه عضواً في المجتمع ، نفعه نفع للناس ، وضرره إضرار بها ، فإذا أحس هذا الإحساس الصادق ، وانطبع في نفسه ، رأى غيره كنفسه ، بل رأه نفسه ، فيحب له مثل ما يحب لنفسه ، وأما أن يحب لنفسه أمراً ولا يحبه لغيره ويحسده ، أو يحقد عليه أن ناله ، فذلك منافٍ للإيمان ، بل ذلك بقية من آثار الكفران .

وكما يحب لغيره ما يحب لنفسه يبغض له ما يبغض لها ، وفاء بحق الإيمان .

ثالثاً : التخلي عن الرذائل ، وكراهية المعاصي ، ونبذ عقيدة الكفر ، وعدم الإشراك بالله .

فهذا عنوان كمال الإيمان ليعتقد الإنسان ان المنعم بالذات هو الله سبحانه وتعالى ، وأنه لا مانح ولا مانع سواه تعالى ، فلتتوجه القلوب إليه وحده ﴿ من عمل صالحاً من ذكرٍ أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياةً طيبةً ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾ .

وهكذا فالعقيدة الصحيحة هي أهم ما يطلب من الإنسان ، لأن العمل إنما يتبع الاعتقاد وعلى قدر ما تصح عقيدة المسلم وتقوى تستقيم أعماله وتزكو أخلاقه .

وبهذا الذي قدمنا يبدو واضحاً مدى أهمية دور العقيدة الإسلامية في بناء الإنسان فكراً وسلوكاً وخلقاً .

.....

# الهداية وأسبابها

فضيلة الشيخ سعيد مسفر القحطاني
أبها (المملكة العربية السعودية)

**ولكن ماهي الهداية ؟؟!**

الهداية هي الانفتاح القلبي على الله والانشراح الصدري على الدين ولذلك يقول تعالى : ﴿ ومن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ﴾ فالهداية إذن أن يشرح الله صدرك للإسلام والدين . قال تعالى : ﴿ أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك في ضلال مبين ﴾ وانشراح الصدر يؤدي إلى رغبة في طاعة الله ورسوله -ﷺ- . وبغض وعزوف عن كل ما يسخط الله فإذا شعرت يا أخي المسلم بهذا الشعور فاعلم أن الله قد هداك .

ولكن أين نجد الهداية ؟ فهي ليست بضاعة تشتري ولا حاجة تقتضى وإنما هي نعمة من الله يمن الله بها على من يشاء من عباده . قال تعالى : ﴿ إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء ﴾ وقال تعالى : ﴿ ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ﴾ فهذه الهداية نعمة يقول تعالى في حقها : ﴿ ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور﴾ وللحصول عليها أسباب كغيرها من متطلبات الحياة التي لا تتحقق إلا بالسعي من أجلها والأخذ بأسبابها : قال الشاعر :

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها :
إن السفينة لا تجري على اليبس

فإذا أردت الهداية يا أخي المسلم فسر في طريقها وعليك بأسبابها الكثيرة جداً والتي سوف نذكر منها عشرة أسباب هي كالتالي :

١- **التوبة :** وهي الانتقال من حياة الشيطان والعبث واللهو إلى





حياة الإيمان بدليل قوله تعالى : ﴿ ويهدي إليه من أناب ﴾ وقوله : ﴿ وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له ﴾ فالهداية ثمرة من ثمرات التوبة . إذ لا يمكن أن تأتي الهداية والعبد مقيم على المعصية فكيف يهتدي من يرى بعينيه الحرام ؟ أو يسمع بأذنيه الحرام ؟ أو يقول بلسانه الحرام ؟ أو يمد يده إلى الحرام ؟ أو يملأ بطنه بأكل أموال الربا والرشوة والمال الحرا ؟ أو من يسير بقدمه إلى الحرام ؟ !

٢- **العلم :** بالله سبحانه وبرسوله -ﷺ- وهو علم الكتاب والسنة . فالجهل آفة وظلمة ويكفينا أن أول كلمة نزلت في ديننا هي قوله تعالى : ﴿ إقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق • إقرأ وربك الأكرم • الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم ﴾ فديننا دين العلم • لقوله تعالى : ﴿ أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى إنما يتذكر أولو الألباب ﴾ فسبيل ديننا هو سبيل العلم ولا مكان للجاهل في ديننا . ولا ينبغي لإنسان مسلم أن يبقى جاهلاً في دين الله ولو كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب . فعليه وإن بلغ عمره المائة عام أن يتعلم . فإذا قال له الشيطان إن من العيب أن يتعلم الإنسان وهو شايب كبير السن . قلنا : بل إن من العيب أن يقدم الإنسان على الله وهو جاهل .

٣- **الإيمان :** وهو التصديق والجزم بحقائق الإيمان وأركانه الستة . والإيمان بالجنة والنار . وبالصراط والكتاب . والحوض . وعذاب القبر وأن الساعة حق .. إلخ .

فالإيمان هو الاقتناع والتصديق بأن كل تلك الأمور حقائق إيمانية كائنة لا محالة وهنا تكون النتيجة حصول الهداية . قال تعالى : ﴿ ومن يؤمن بالله يهد قلبه ﴾ ويقول : ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم تجري من تحتهم الأنهار في جنات نعيم ﴾ .

٤- **الاعتصام بالله :** والتمسك بحبله والتوكل عليه . قال تعالى :

﴿ ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم ﴾ ويقول سبحانه في الحديث القدسي : « وعزتي وجلالي ما اعتصم عبد من عبادي بي فكادته السماوات والأرض إلا جعلت له منها مخرجاً ، وعزتي وجلالي ما اعتصم عبد من عبادي بمخلوق دوني إلا قطعت عنه أسباب السماء وأسخت الأرض من تحت قدميه ثم لا أبالي في أي واد هلك » .

٥- الدعـــــاء : وهو من أقوى أسباب الهداية لأن الله لا يرد من يدعوه طالباً منه الهداية . قال تعالى : ﴿ وقال ربكم ادعوني استجب لكم ﴾ وهنا يجب أن يكون الدعاء صادقاً ومن محل صالح . قال تعالى : ﴿ و إذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان ﴾ ولذا شرع الله لعباده أن يدعوه في كل ركعة من الصلاة فريضة كانت أو نافلة أو راتبة وأن يسأل العبد ربه قائلاً : ﴿ إهدنا الصراط المستقيم ﴾ فمن طلب الهداية من الله أجابه الله سبحانه وحقق له مادعا به إن شاء الله .

٦- إتباع الكتاب والسنة :

ويعني ذلك الانقياد والاستسلام الخالص لتعاليم الكتاب والسنة بمعنى أن يقول العبد لما جاء في الكتاب والسنة ﴿ سمعنا وأطعنا ﴾ دون تساؤل أو استفهام أو بحث عن السبب أو نحو ذلك لأن هذا ليس من شئونه . فإبليس عند ما لم يتبع أمر الله ، وعند ما رفض أمر الله بالسجود لآدم - عليه السلام - واستكبر وحاول الاستعلاء ، قال جل جلاله : ﴿ أخرج منها فإنك رجيم وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين ﴾ فمن اتبع كتاب الله وسنة رسوله الطاهرة وعمل ما فيها هداه الله سبحانه . قال تعالى : ﴿ الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه • أولئك الذين هداهم الله ﴾ وبذلك تكون الهداية ثمرة من ثمار استماع القول الصالح واتباعه .

٧- المجاهـــــدة : وتعني استفراغ الجهد في استعمال النفس في





طاعة الله وما ينفعها حالاً ومآلاً ، ومنعها مما يضرها حالاً ومآلاً ، بدليل قوله تعالى : ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين ﴾ فالله يهدي الإنسان بعد المجاهدة ، أما الهارب فلا هداية له .

قال تعالى : ﴿ والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم ﴾ وقال في الصنف الآخر : ﴿ فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم ﴾ فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فعلى نفسه ، لقوله تعالى في الحديث القدسي : « يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها عليكم ثم أوفيكم إياها يوم القيامة » وهنا يحسن بنا أن نشير إلى أن المجاهدة تكون للنفس وللشيطان وللكفار وللمنافقين ، وتفصيل ذلك كالتالي :

أ - جهاد النفس ويكون على أربع مراتب هي :

= حملها على تعلم الهدى بسماع الأشرطة الإسلامية وحضور الدروس وقراءة القرآن والكتب الدينية .

= حملها على العمل بما علمت من العلم أولاً بأول .

= حملها على الدعوة إلى الله وذلك بتعليم الآخرين ما علمت بالأسلوب اللين والطريقة الحسنة .

= الصبر على الأذى في سبيل الدعوة إلى الله سواءاً من المجتمع أو الأهل أو نحوهما .

ب - جهاد الشيطان وله مرتبتان :

= جهاد دفع ما يلقيه من الشكوك والشبهات في الدين والعقائد ويكون ذلك بسؤال أهل العلم .

= جهاده على دفع ما يلقيه من الإرادات والشهوات ، فالشيطان يزين الحرام ويبغض الحلال .

ج - جهاد المنافقين .

د - جهاد الكفار ويكون بالسنان في ميدان الجهاد وبالبيان في ميدان

الكتابة والتأليف والإعلام والتدريس والدعوة لكشف شبهات الكفر وأساليبه كما يكون ببغضهم قلبياً وعدم محبتهم .

٨- **أداء الصلاة :** وهي سبب هام وعامل رئيسي لما يترتب على أدائها والقيام بها والمحافظة عليها من حصول الهداية .

٩- **الصحبة الطيبة :** لأنها تقود إلى الله وتدل عليه فأصحاب الهدى يدعون إلى الهداية ونور الله ، أما أصحاب الضلال فيدعون إلى الضلال واتباع الشيطان يقول الشاعر :

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه
فكل قرين بالمقارن يقتدي

إذا ما صحبت القوم فاصحب خيارهم
و لا تصحب الأردى فتردى مع الردي

وقد جاء في الحديث قوله -ﷺ- : « مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك وكنافخ الكير» .

١٠- **الابتعاد عن رفقاء السوء :**

الداعية إلى الضلال لأنه أخطر من أصحاب الأمراض والأوبئة ، بل هم يحملون الأمراض في عقائدهم والأوبئة في أخلاقهم والأوجاع في أفكارهم . قال تعالى : ﴿ وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين ﴾ وهذا أمر رباني يوجب البعد عن رفقاء السوء ومجالسهم لأن ذلك من دواعي البعد عن الهداية والقرب من الغواية .

أخي المسلم إن هذه الأسباب تحتاج إلى بذل وصبر ومجاهدة ، ولكن نتائجها تكون طيبة مثمرة في مقعد صدق عند مليك مقتدر فلا تكسل ولا تغتر ولا تتهاون ، والحمد لله رب العالمين .. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين .



دراسات وأبحاث :

# بحث حول الناسخ والمنسوخ

دكتور محمد شفيق الله
أستاذ مشارك في القسم العربي بجامعة راج شاهي - بنغله ديش

إن معرفة الناسخ والمنسوخ ركن عظيم في فهم الإسلام وفي الاهتداء إلى صحيح الأحكام ، وقد قال علي - رضي الله عنه - لقاضٍ : أتعرف الناسخ من المنسوخ ؟ قال : لا ، قال : هلكت وأهلكت (١) .

وقد تنزل التشريعات السماوية من الله تعالى على رسله لإصلاح الناس في العقيدة والعبادة والمعاملة ، والعقيدة واحدة لا يطرأ عليها تغير لقيامها على توحيد الألوهية و الربوبية - و أما العبادات و المعاملات منها - منها تهذيب النفس والمحافظة على سلامة المجتمع وربطه برباط التعاون والإخاء إلا أن مطالب كل أمة قد تختلف عن مطالب أختها ، وما يلائم قوماً في عصر قد لا يلائمهم في آخر مسلك الدعوة في طور النشأة يختلف عن شرعتها بعد التكوين والبناء فحكمة التشريع في هذه غيرها في تلك ، والمشرع هو الله سبحانه وتعالى يسع كل شئ رحمة وعلما ، ولله الأمر والنهي فلا غرابة في أن يرفع تشريع بآخر مراعاة لمصلحة العباد عن علم سابق بالأول والآخر (٢) .

---

(١) سيوطي : الإتقان في علوم القرآن : ج/١، ط.٢ ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر- ص/٢٠ .

(٢) مناع القطان : مباحث في علوم القرآن ط.١٩ ، مؤسسة الرسالة بيروت ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٣م ، ص/١٤ .

## = تعريف النسخ =

**النسخ في اللغة :**

يطلق النسخ في لغة العرب على معانٍ :

١- إزالة شئ بشئ يتعقبه ، كنسخ الشمس الظل ، والظل الشمس والشيب الشباب (١) ، ومنه قوله تعالى : ﴿ فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته ﴾ (سورة الحج ، الآية : ٥٢) .

٢- التبديل : كقوله تعالى : ﴿ وإذا بدلنا آيةً مكان آية ﴾ (سورة النحل ، الآية ١٠١) .

٣- التحويل : كتناسخ المواريث بتحويلها من قوم إلى قوم .

٤- ويأتي أخيراً بمعنى النقل من موضع إلى موضع ومنه نسخت الكتاب إذا نقلت ما فيه حاكياً للفظة وخطبة (٢) .

**النسخ في الإصطلاح :**

النسخ في الاصطلاح هو : « رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي » -والحكم الشرعي هو خطاب الله المتعلق بأفعال المتكلفين - وإما على سبيل الطلب أو الكف أو التخيير وإما على سبيل كون الشئ سبباً أو شرطاً أو مانعاً أو صحيحاً أو فاسداً .

والدليل الشرعي هو وحي الله مطلقاً متلوا أو غير متلو ، فيشمل الكتاب والسنة (٣) .

---

(١) الراغب : المفردات في غريب القرآن ، المطبعة الميمنية ، مصر ١٣٢٤هـ ، ص/٥٠٩ .

(٢) الإتقان : ج/٢، ص/٢٠ .

(٣) الزرقاني : مناهل العرفان في علوم القرآن ، ج/٢ ، القاهرة ، ص/١٩١.





فخرج بقيد « الحكم الشرعي » ابتداء إيجاب العبادات في الشروع ، فإنه يرفع حكم العقل ببراءة الذمة ، وذلك كإيجاب الصلاة ، فإنه رافع لبراءة ذمة الإنسان منها قبل ورود الشرع بها .

وخرج بقيد « بدليل شرعي » رفع الحكم الشرعي بدليل عقلي وذلك كسقوط التكليف عنه بأحد هذه الأسباب يدل عليه العقل إذا الميت والمجنون والغافل لا يعقلون خطاب الله تعالى حتى يستمر تكليفهم والعقل يقضي بعدم المرء إلا بما يتعقله ، وإن الله تعالى إذا أخذ ما وهب أسقط ما وجب (١) .

ويطلق الناسخ على الله تعالى كقوله : ﴿ ما ننسخ من آية ﴾ (سورة البقرة ، الآية : ١٠٦) ، وعلى الآية وما يعرف به النسخ فيقال : هذه الآية ناسخة لآية كذا ، وعلى الحكم الناسخ لحكم آخر والمنسوخ هو الحكم المرتفع ، فآية المواريث مثلا أو ما فيها من حكم ناسخ لحكم الوصية للوالدين والأقربين فيشترط في النسخ :

١- أن يكون الحكم المنسوخ شرعياً .

٢- أن يكون الدليل على ارتفاع الحكم دليلاً شرعياً متراخياً عن الدليل المنسوخ حكمه .

٣- وألا يكون الدليل المرفوع حكمه مقيداً بوقت معين - وإلا فالحكم ينتهي بانتهاء وقته ولا يعد هذا نسخا - قال مكي : ذكر جماعة أن ما ورد من الخطاب مشعرا بالتوقيت والغاية مثل قوله في البقرة : ﴿ فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره ﴾ (سورة البقرة ، الآية : ١٠٩) ، محكم غير منسوخ - لأنه مؤجل بأجل - والمؤجل بأجل لا نسخ فيه (٢) .

---

(١) مناهل : ج/٢ ، ص/١٩١-١٩٢ .

(٢) مباحث في علوم القرآن ، ص/٢٢٢-٢٢٢ .

**الفرق بين النسخ والبداء :**

البداء يطلق على معنيين :

١- الظهور بعد الخفاء ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ﴾ (سورة الزمر، الآية : ٤٧) .

٢- نشأ رأى جديد لم يك موجوداً ، ومنه قوله تعالى : ﴿ ثم بدالهم من بعد ما رأو الآيات ليسجننه حتى حين ﴾ (سورة يوسف ، الآية : ٣٥) ، أي نشأ لهم في يوسف رأى جديد هو أن يسجن سجناً وقتياً .

ذانك معنيان متقاربان للبداء ، وكلاهما مستحيل على الله تعالى ، لما يلزمهما من سبق الجهل وحدوث العلم ، لأن الله تعالى هو خالق هذا العالم ومدبره وهو محيط بكل ما كان وما سيكون وما هو كائن ، وقد جاء في القرآن العظيم : ﴿ ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير ﴾ ( سورة الحديد ، الآية : ٢٢).

وقد زعم قوم إن النسخ ضرب من البداء أو مستلزم للبداء ، وقالوا لولا ظهور مصلحة لله ونشوء رأى جديد له ما نسخ أحكامه وبدل تعاليمه ، فاليهود أنكروا النسخ وأسرفوا في الإنكار ، والرافضة أثبتوا النسخ ثم أسرفوا في إثبات هذا البداء اللازم له في زعمهم ونسبوه إلى الله تعالى في صراحة و وقاحة وهذه عقيدة باطلة (١) .

**الفرق بين النسخ والتخصيص :**

النسخ هو « رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي » والتخصيص هو قصر العام على بعض أفراده ، ولذلك أنكر بعض من العلماء وقوع النسخ في

(١) مناهل : ج/٢، ص/١٩٧-١٩٨ .





الشريعة ، ومنهم من أدخل صوراً من التخصيص في باب النسخ ، وهذا باطل بوجوه آتية :

١- إن العام بعد تخصيصه مجاز ، لأن مدلوله وقتئذ بعض أفراده مع أن لفظه موضوع للكل ، وكل ما كان كذلك فهو مجاز .

أما النص المنسوخ فمازال كما كان مستعملاً فيما وضع له غاية ، إن النسخ دل على أن إرادة الله تعلقت أزلا باستمرار هذا الحكم إلى وقت معين وإن كان النص المنسوخ متناولاً جميع ألا زمان (١) .

٢- إن حكم ما خرج بالتخصيص لم يك مراداً من العام أصلاً بخلاف ما خرج بالنسخ ، فإنه كان مراداً من المنسوخ لفظاً .

٣- إن التخصيص لا يتأتّى أن يأتى على الأمر لمأمور واحد ولا على النهي لمنهى واحد ، وأما النسخ فيمكن أن يعرض لهذا كما يعرض لغيره .

٤- إن النسخ لا يكون إلا بالكتاب والسنة ، بخلاف التخصيص فإنه يكون بهما وبغيرهما كدليل الحسن والعقل .

٥- إن النسخ لا يكون بدليل متراخ عن المنسوخ والتخصيص فيكون بالسابق واللاحق والمقارن (٢) .

**الآراء في النسخ وادلة ثبوته :**

لأهل الأديان أربعة مذاهب في النسخ :

١- اليهود : هو ينكرون النسخ لأنه يستلزم في زعمهم البداء ، وهم يقولون : إن النسخ إما أن يكون لغير حكمة ، وهذا عبث محال على الله تعالى وإما أن يكون لحكمة ظهرت ولم تكن ظاهرة من قبل ، وهذا يستلزم البداء وسبق الجهل وهو محال على الله سبحانه وتعالى .

(١) المرجع السابق : ص/٢٠١ . (٢) المرجع السابق : ص/٢٠٢ .

واستدلالهم هذا باطل وفاسد ، لأن حكمة الناسخ والمنسوخ معلوم عند الله تعالى من قبل فلم يتجدد عليه بها ، واليهود يعترفون بأن شريعة موسى - عليه الصلاة والسلام - ناسخة لما قبلها ، وأيضاً جاء في نصوص التوراة النسخ كتحريم كثير من الحيوان على بني إسرائيل بعد حله كما قال الله تعالى في إخباره عنهم : ﴿ كل الطعام كان حلاً لبني إسرائيل إلا ما حرّم إسرائيل على نفسه ﴾ (سورة آل عمران ، الآية : ٩٣) ، وثبت في التوراة أن آدم - عليه الصلاة والسلام - كان يزوج من الأخت وقد حرم الله ذلك على موسى - عليه الصلاة والسلام - وإن موسى - عليه الصلاة والسلام - أمر بني إسرائيل أن يقتلوا من عبد منهم العجل ثم أمرهم برفع السيف منهم (١) .

٢- الروافض : وهؤلاء غالوا في إثبات النسخ ، وأجازوا البداء على الله تعالى فهم مع اليهود على طرفي نقيض ، واستدلوا على ذلك بأقوال نسبوها إلى علي - رضي الله عنه - زوراً و بهتاناً ، و بقوله تعالى : ﴿ يمحو الله ما يشاء ويثبت ﴾ (سورة الرعد ، الآية : ٣٩) ، على معنى أنه يظهر له المحو والإثبات .

وذلك تحريف للقرآن ، فإن معنى الآية : ينسخ الله ما يستوصب نسخه ويثبت بدله ما يرى المصلحة في إثباته كمحو السيآت بالحسنات ومحو كفر التائبين ومعاصيهم بالتوبة وإثبات إيمانهم وطاعتهم ولا يلزم من ذلك الظهور بعد الخفاء بل يفعل الله هذا مع علمه به قبل كونه (٢) .

٣- أبو مسلم الأصفهاني (معتزلي من كبار المفسرين) عنده يجوز

(١) المرجع السابق : ص/٢٠٣ .
(٢) مباحث في علوم القرآن ، ص/٢٢٤- ٢٢٥ .





النسخ عقلاً ، ولكن يمنع وقوعه شرعاً وهو يحتج بقوله تعالى : ﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ﴾ (سورة فصلت ، الآية ٤٢) ، على معنى أن أحكامه لا تبطل أبدا ، ويحمل آيات النسخ على التخصيص .

ورد عليه بأن معنى الآية إن القرآن لم يتقدمه ما يبطله من الكتب ولا يأتي بعده ما يبطله (١) .

- جمهور العلماء : أنه جائز عقلاً و واقع سمعاً -

## أدلة جواز النسخ عقلاً :

١- إن النسخ لا محظور فيه عقلاً ، وكل ما كان كذلك جائز عقلاً أما الكبرى فمسلمة .

وأما الصغرى فيختلف دليلها عند أهل السنة عن دليلها عند المعتزلة .

فأهل السنة يقولون : إنه لا يجب على الله تعالى لعباده شئ ، بل هو سبحانه الفاعل المختار والكبير المتعال ، وله أن يأمر عباده بما شاء ، وينهاهم عما شاء ، وأن يبقى من أحكامه على ما شاء وأن ينسخ منها ما شاء ، والمعتزلة يقولون : إنه تعالى يجب أن يتبع في أحكامه مصالح عباده ، فما كان فيه مصلحة لهم أمرهم به وما كان فيه مضرة عليهم نهاهم عنه ، وما دار بين المصلحة تارة والمفسدة أخرى أمرهم به تارة ونهاهم عنه أخرى (٢) .

٢- ولو لم يكن النسخ جائزاً عقلاً و واقعاً سمعاً لما جوزوا أن يأمر الشارع عباده بأمر موقت ينتهي بانتهاء وقته لكنهم يجوزون هذا عقلاً

(١) مباحث في علوم القرآن : ص/٢٢٥ .
(٢) مباحث : ص/٢٢٦ .

ويقولون بوقوعه سمعاً فليجوزوا هذا ، لأنه لا معنى للنسخ إلا انتهاء الحكم الأول لميقات معلوم عند الله بيد أنه لم يكن معلوماً لنا من قبل ، ثم أعلمنا الله إياه بالنسخ وهذا ليس بفارق مؤثر (١) .

٢- إن النسخ لو لم يكن جائزاً عقلاً و واقعاً سمعاً ، لما ثبت رسالة سيدنا محمد -ﷺ- إلى الناس كافة ، ولكن رسالته العامة للناس ثابتة بالأدلة القاطعة والبراهين الساطعة ، إذن فالشرائع السابقة ليست باقية بل هي منسوخة بهذه الشريعة الخاتمة و إذن فالنسخ جائز و واقع (٢) .

**أدلة وقوع النسخ سمعاً :**

فهذا نوعان : أحدهما تقوم به الحجة على منكرى النسخ من اليهود والنصارى من غير توقف على إثبات نبوة الرسول -ﷺ- له ، فمنه ما يأتي :

١- فقد جاء في السفر الأول من التوراة إن الله تعالى قال لنوح - عليه الصلاة والسلام - عند خروجه من السفينة : إني جعلت كل دابة حية مأكلا لك ولذريتك وأطلقت ذلك لكم كنبات العشب ما خلا الدم فلا تأكلوه ، ثم اعترفوا بعد ذلك بأن الله تعالى قد حرم كثيراً من الدواب على أصحاب الشرائع من بعد نوح - عليه الصلاة والسلام - (٢) .

٢- إن الله تعالى أمر إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - بذبح ولده ثم قال الله تعالى له لا تذبحه ، وقد اعترف منكروا النسخ بذلك .

٣- إن عمل الدنيا كان مباحاً يوم السبت ، ومنه الاصطياد ، ثم حرم الله تعالى الاصطياد على اليهود باعترافهم .

---

(١) مناهل : ص/٢٠٤ .

(٢-٢) المرجع السابق : ص/٢٠٦ .





٤- إن الجمع بين الأختين كان مباحاً في شريعة يعقوب - عليه الصلاة والسلام - ثم حرم في شريعة موسى - عليه الصلاة والسلام - .

٥- إن الطلاق كان مشروعاً في شريعة عيسى - عليه الصلاة والسلام - ثم جاءت شريعة عيسى - عليه الصلاة والسلام - فحرمته إلا إذا ثبت الزنا على الزوجة (١) .

أما النوع الثاني فما تقوم به الحجة على من آمن بنبوته -ﷺ- كأبي مسلم الاصفهاني ، فمنه ما يأتي :

١- قوله تعالى : ﴿ ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ﴾ (سورة البقرة ، الآية ١٠٦) .

٢- قوله تعالى : ﴿ يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب ﴾ (سورة الرعد ، الآية : ٣٩) .

٣- قوله تعالى : ﴿ وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون ﴾ (سورة النحل ، الآية ١٠١) .

٤- قوله تعالى : ﴿ فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم ﴾ (سورة النساء ، الآية : ١٦٠) .

[يتبع]

---

(١) المرجع السابق : ص/٢٠٧ .

(٢) المرجع السابق : ص/٢٠٨ .

# الإمام النسائي وصناعته الحديثية في سننه

[الحلقة الثانية]

الدكتور تقي الدين الندوي
أستاذ الحديث في جامعة الإمارات العربية

## المبحث الثاني :

### أ- التعريف بكتاب السنن وبيان خصائصه :

**١- التعريف بكتاب السنن :**

إن كتب الحديث على أنواع منها السنن : وهي ما كانت بترتيب أبواب الفقه ، قال الكتاني (ت ١٣٤٥هـ) هي في اصطلاحهم الكتب المرتبة على الأبواب الفقهية من الإيمان والطهارة والصلاة والزكاة إلى آخرها (١) .

فكتاب السنن للإمام النسائي ، مرتب على أبواب الفقه ، الذي يعد أحد أركان الستة هو السنن الصغرى ، قال الكتاني : سنن النسائي الكبرى منها لخص الصغرى تاركاً لما تكلم في إسناده بالتعليل ، وإذا أطلق أهل الحديث أن النسائي روى حديثاً فإنما يعنون في السنن الصغرى وهي المجتبى (٢) .

ومعنى المجتبى (٣) المنتخب ، وذلك لأن هذا السنن منتخب من السنن الكبرى للنسائي .

**٢- انتخاب السنن :** اختلف العلماء فيمن هو الذي انتخب هذا الكتاب

---

(١-٢) الرسالة المستطرفة : ص/٢٩ .

(٣) المجتبى : هو بالباء الموحدة ويقال بالنون أيضاً ، لكن رجح الشيخ عبد العزيز الأول « بستان المحدثين » : ص/١١١ .





من سننه الكبرى ، قال ابن كثير (ت ٧٧٤هـ) : وقد جمع (النسائي) السنن الكبرى والصغرى ، وانتخب منه ما هو أقل حجماً منه بمرات (١) .

إن النسائي لما صنف الكبرى أهداها لأمير الرملة فقال له الأمير كل ما فيها صحيح ؟ قال : لا ، قال : فميز لي الصحيح من غيره فصنف له الصغرى (٢) .

ورأى بعضهم أن المجتبى اختيار ابن السني ، ولكن الذهبي رفض هذا ، فقال : إن هذه الرواية لم تصح بأن المجتبى اختيار ابن السني (٣) .

ومال بعضهم إلى الجمع بين القولين ففي « اليانع الجني » (٤) وأما حكاية الذهبي ومن وافقه فقد يمكن حملها على أن يكون ابن السني باشر اختصارها بأمر النسائي أو أعانه في ذلك ، فلتحمل عليه ولا يجترئ على شق عصا الجماعة بقول محتمل .

**٣- إذا أطلق النسائي فما المراد بذلك ؟**

إذا أطلق المحدثون بقولهم رواه النسائي فمرادهم هذا المختصر المسمى بالمجتبى لا الكتاب الكبير ، وكذا إذا قالوا : الكتب الخمسة أو الأصول الخمسة فهي البخاري ومسلم وسنن أبي داؤد وجامع الترمذي ومجتبى النسائي (٥) .

قال الكتاني : في بيان الأصول : ومنها سنن النسائي ، والمراد بها الصغرى فهي المعدودة من الأمهات ، وهي التي خرج الناس عليها الأطراف

---

(١) البداية والنهاية : ١١/١٢٢ ، وسير أعلام النبلاء : ١٤/٢٢١ .
(٢) تدريب الراوي : ص/١٠٢ .
(٣) سير أعلام النبلاء : ١٤/١٢١ .
(٤) سير أعلام النبلاء : ص/٥٢ .
(٥) مرقاة المفاتيح : ١/١٨ .

والرجال دون الكبرى خلافاً لمن قال : إنها المرادة (١) .

قال السيوطي : الثالث سنن النسائي هو أحد الكتب الستة أو الخمسة هي الصغرى دون الكبرى ، صرح بذلك التاج ابن السبكي . قال : وهي التي عليها الأطراف والرجال وإن كان شيخه المزى ضم إليها الكبرى ، وصرح ابن الملقن بأنها الكبرى ، وفيه نظر (٢) .

و الحافظ المنذري إذا عزا الحديث إلى النسائي في كتابه الشهير « الترغيب والترهيب » أراد به الكبرى كما صرح هو بنفسه في مقدمة هذا الكتاب .

## ٤ - ثناء العلماء على السنن :

لن أستطيع الحصر ولا الاستقصاء لو أردت أن أذكر كل ما قيل في الثناء على هذا الكتاب العظيم ، ولذلك فسأكتفي بإيراد بعض الكلمات لأشهر العلماء :

١ - قال الحافظ أبو عبد الله الحاكم النيسافوري (ت ٤٠٥هـ) : أما كلام أبي عبد الرحمن على فقه الحديث فأكثر من أن يذكر ، ومن نظر في كتاب السنن له تحير من حسن كلامه (٣) .

٢ - وقال أبو الحسن المعافري (ت ٤٨٤هـ) : إذا نظرت إلى ما يخرجه أهل الحديث فما خرجه النسائي أقرب إلى الصحة مما خرجه غيره (٤) .

---

(١) الرسالة المستطرفة : ص/١٢ .

(٢) تدريب الراوي : ص/١٢ .

السنن الصغرى هو المطبوع المتداول بين الناس في هذا الزمان وأما السنن الكبرى إنما طبع جزء منه سنة ١٢٩١هـ في بمبائ بالهند .

(٣) سير أعلام النبلاء : ١٤/١٣٠ .

(٤) فتح المغيث : ١/٨٤ .





٣ - قال الحافظ أبو عبد الله بن رشيد (ت ٧٢١هـ) : إنه أبدع الكتب المصنفة في السنن تصنيفاً وأحسنها ترصيفاً ، وهو جامع بين طريقتي البخاري ومسلم مع حظ كثير من بيان العلل ، وفي الجملة فكتاب السنن أقل الكتب بعد الصحيحين حديثاً ضعيفاً ورجلاً مجروحاً ويقاربه من الطرف الآخر كتاب ابن ماجة فإنه تفرد فيه بإخراج أحاديث عن رجال متهمين بالكذب وسرقة الأحاديث (١) .

٤ - قال بعض المكيين من شيوخ ابن الأحمر إنه أشرف المصنفات كلها وما وضع في الإسلام مثله (٢) .

قلت : يمكن هذا القول بالمقارنة مع السنن الأربعة غير الصحيحين ، لأن الإمام النسائي ذكر : ما في هذه الكتب كلها أجود من كتاب محمد بن إسماعيل .

قال الحافظ ابن حجر : والنسائي لا يعني بالجودة إلا جودة الأسانيد كما هو المتبادر إلى الفهم من اصطلاح أهل الحديث (٣) .

## ٥ - عناية العلماء بسنن النسائي :

لم تنل سنن النسائي العناية اللائقة بها قديماً وحديثاً .

قال السيوطي : منذ صنف أكثر من ستمائة سنة لم يشتهر عليه من شرح ولا تعليق (٤) ، ومن أهم شروحه :

١ - شرح الشيخ سراج الدين عمر بن علي الملقن الشافعي (ت ٨٠٤هـ) لكنه تناول بشرح زوائده على الصحيحين وأبي داؤد والترمذي ، وغالب

---

(١) مقدمة زهر الربي على المجتبى : ص/٤ . وفتح المغيث : ١/٨٤ .

(٢) فتح المغيث ١/٨٤ .

(٣) مقدمة فتح الباري : ص/١٠ .

(٤) مقدمة زهر الربي : ص/١ .

الظن أنه زوائد المجتبى .

٢- زهر الربي على المجتبى لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) وعلق على هذا السنن كما علق على سائر الكتب من الصحاح الستة ، هو حل فيه بعض ألفاظه ولم يتعرض بشئ للأسانيد وقد طبع من المجتبى مراراً ، ولهذا التعليق مختصر باسم « عرف زهر الربي » لعلي بن سليمان الدمناتي المغربي (ت ١٢٠٦هـ) وقد طبع بالقاهرة ١٢٦٦هـ .

٣- حاشية لأبي الحسن محمد بن عبد الهادي السندي (المتوفى بالمدينة المنورة ١٢٢٦هـ) وهي مطبوعة مع زهر الربي والسنن (١) .

٤- تأليف لأبي عبد الرحمن محمد البنجابي ومحمد عبد اللطيف ، طبع في دلهي عام ١٨٩٨م ، مع شرح مجمع من السيوطي والسندي وغيرهما .

## ٦- مكانة سنن النسائي بين الكتب الستة :

إن الإمام النسائي اختار منهجاً دقيقاً في كتابه فرتبه على الأبواب الفقهية والتزم التحرى والدقة في الرجال والتشدد في قبول الروايات ، وقد أطلق على كتابه اسم الصحيح كثير من الأئمة منهم ابن مندة (ت ٣٩٥هـ) ، وابن السكن صاحب الصحيح (ت ٣٥٣هـ) وأبو علي النيسافوري ، وابن عدى والخطيب ، والدارقطني ، قالوا : كل ما فيه صحيح ، وانتقد عليه الشيخ على القارئ وقال : فيه تساهل صريح ، وشذ بعض المغاربة ففضله على كتاب البخاري ولعله لبعض الحيثيات الخارجة عن كمال الصحة والله أعلم (٢) .

---

(١) انظر تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين : ١/٢٦٧-٢٦٨ ، وتاريخ الأدب العربي : ٢/١٩٦ .

(٢) انظر مرقاة المفاتيح : ١/٢٤ .





## ٧- شرط النسائي في كتابه :

فقد عرف الإمام النسائي بالتحرى والدقة حتى قيل : إن له شرطاً في الرجال أشد من شرط مسلم .

قال العلامة محمد أنور الكشميري : قد استنبطت شروط من صنيع هؤلاء الأئمة أرباب الصحاح ، فشرط صحيح البخاري الإتقان وكثرة ملاز. الراوي للشيخ ، وشرط مسلم الإتقان ولم يشترط كثرة الملازمة بل يشترط بثبوت اللقاء ، واكتفى بمحض المعاصرة بين الراوي والشيخ ، وهذا هو مذهب جمهور المحدثين ، واشترط أبو داؤد والنسائي كثرة الملازمة فقط ، ولم يشترط أبو عيسى الترمذي شيئاً منهما (١) .

والمعروف أن مذهب النسائي في تخريج الأحاديث مذهب متسع لا يقتصر في التخريج على الرواة المتفق على قبولهم ، بل يأخذ رواية المختلف فيه أيضاً ، كما في الفية العراقي حيث قال :

و النسائي يخرج من لم يجمعوا
عليه تركاً مذهب متسع

قال الحافظ السخاوي : في شرح هذا الكلام أي كان الحافظ أبو عبد الرحمن النسائي لا يقتصر في التخريج على المتفق على قبولهم ، بل يخرج حديث من لم يجمعوا أي أئمة الحديث عليه تركاً أي تركه حتى إنه يخرج من مجهولين حالاً وعيناً للاختلاف فيهم

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني : إن المراد من الإجماع على تركه إجماع المتشددين والمتوسطين من أئمة النقد ، فالمراد بالإجماع الإجماع الخاص ، وأما المتساهلون فلا عبرة بتوثيقهم مثلاً إذا اختلف في رجل

---

(١) معارف السنن : ١/٢٠ .

فضعفه أحد من المتشددين مثل يحيى القطان وقواه أحد من المتوسطين مثل عبد الرحمن بن مهدي ، فحينئذ لا يتركه النسائي ، وأما إذا اتفق المتشددون والمتوسطون على تضعيف رجل ، فحينئذ لا يأخذ النسائي روايته وإن قواه أحد من المتساهلين (١) .

قال السخاوي : فكم من رجل أخرج له أبو داؤد والترمذي تجنب النسائي إخراج حديثه بل تجنب النسائي إخراج حديث جماعة من رجال الشيخين حتى قال بعض الحفاظ ، إن شرطه في الرجال أشد من شرطهما (٢) .

حكى أبو الفضل ابن طاهر قال : سألت سعد بن علي الزنجاني عن حال رجل من الرواة فوثقه فقلت إن النسائي لم لم يحتج به ؟ فقال : يا بني ! إن لأبي عبد الرحمن شرطاً في الرجال أشد من شرط البخاري ومسلم (٣) .

علق الحافظ الذهبي على هذه الرواية وقال : صدق فإنه (النسائي) لين جماعة من رجال صحيحي البخاري ومسلم (٤) .

وإني أرى أن شروط الصحيحين أعلى من شروط غيرهما ، ومثل هذا القول يرجع إلى اختلاف أنظار المجتهدين ، وأيضاً هذا يدل على شدة تحرى النسائي ودقته وكان هذا المنهج داعياً أن يترك أحاديث ابن لهيعة ، قال أحمد بن نصر الحافظ « من يصبر على ما يصبر عليه النسائي ؟ كان عنده حديث ابن لهيعة ترجمة فما حدث عنه بشئ » وكان لا يرى أن

---

(١) فتح المغيث : ١/٨٢ .
(٢) مقدمة فتح الباري : ص/١٠ .
(٣) شروط الأئمة الستة : ص/٢١ ، وسير أعلام النبلاء : ١٤/١٢١ ، والبداية والنهاية : ١١/١٢٢ .
(٤) سير أعلام النبلاء : ١٤/١٢١ .



يحدث بحديث ابن لهيعة (١) .

## ٨- درجات أحاديث السنن :

قال الحافظ أبو الفضل ابن طاهر : كتاب أبي داؤد والنسائي ينقسم على ثلاثة أقسام :

الأول : الصحيح المخرج في الصحيحين .

الثاني : صحيح على شرطهما ، وقد حكى أبو عبد الله بن مندة أن شرطهما إخراج أحاديث أقوام لم يجمع على تركهم إذا صح الحديث باتصال الإسناد من غير قطع ولا إرسال ، فيكون هذا القسم من الصحيح إلا أن طريقه لا يكون طريق ما أخرجه البخاري ومسلم في « صحيحيهما» بل طريقه طريق ما ترك البخاري ومسلم بن الحجاج لما بيّنا أنهما تركا كثيراً من الصحيح الذي حفظاه .

الثالث : أحاديث أخرجاها من غير قطع منهما بصحتها وقد أبانا علتها بما يفهمه أهل المعرفة .

وإنما أودعا هذا القسم في كتابيهما لأنه رواية قوم لها واحتجاجهم بها فأورداها وبيّنا سقمها لتزول الشبهة ، وذلك إذا لم يجد له طريقاً غيره لأنه أقوى عندهما من رأى الرجال (٢) .

## ٩- خصائص سنن النسائي :

اختص كتاب السنن للنسائي بعديد من الخصائص التي تضفى عليه أهمية خاصة تدل على جلالة قدر الكتاب ومكانته بين مصادر السنة مما جعله مرجعا هاماً للعلماء والمحدثين والفقهاء على مر العصور حتى يومنا

---

(١) شروط الأئمة الستة : ص/٢٢ .
(٢) ديباجة زهر الربي : ١/٤ . وانظر شروط الأئمة الخمسة : ص/١٢ .

هذا ، وتستطيع أن تلخص هذه الخصائص فيما يلي

١- قصد النسائي في سننه جمع ما ثبت عن رسول الله -ﷺ- من أحاديث الأحكام مما يمكن أن يستدل به الفقهاء فجمع بين الحديث والفقه ، إلى حد ما ، لأنه استنبط من الحديث مسائل عديدة على طريقة الإمام البخاري ، وسلك طريقة جمع الأسانيد في مكان واحد كصنيع مسلم بن الحجاج فكان في حقيقة الأمر جامعاً بين طريقي البخاري ومسلم ، كما أورد في باب الوضوء مما غيرت النار حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - من خمسة طرق (١) وحديث عائشة - رضي الله عنها - إن رسول الله -ﷺ- كان يغتسل وأنا من إناء واحد إلخ ، من أربع طرق في مكان واحد (٢) .

كما أخرج حديث أمر النبي -ﷺ- أن يسجد على سبعة أعضاء إلخ (٣) من تسع طرق في تسعة أبواب واستخرج في كل باب مسألة جديدة ، وأخرج حديث عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله -ﷺ- كان إذا أراد أن ينام وهو جنب توضأ إلخ ، في ثلاثة أبواب بأسانيد مختلفة واستنبط منه كل مرة مسألة جديدة (٤)

٢- إنه لا يكرر الأسانيد ذات المتون المتشابهة ، بل إذا اضطر لتكرار الحديث يحاول أن يأتي بإسناد آخر فيه مغايرة لبعض الرواة أو تكون في المتن زيادة ، كما أخرج حديث علي بن أبي طالب بطريق أبي أفلح الهمداني عن زرير أنه سمع علي بن أبي طالب يقول : إن نبي الله -ﷺ- أخذ حريراً فجعله في يمينه وأخذ ذهباً فجعله في شماله ، ثم قال : إن

---

(١) سنن النسائي : ١/١٠٥ (٢) سنن النسائي : ١/١٢٩ .
(٣) سنن النسائي : ٢/٢٠٨-٢١٠ و ٢١٥-٢١٦ .
(٤) انظر سنن النسائي : ١٠/١٢٩ .



هذين حرام على ذكور أمتي .

ثم أخرج هذا الحديث بطريق آخر فيه عن رجل من همدان يقال له أبو صالح عن زرير أنه سمع علي بن أبي طالب إلخ .

ثم قال : أخبرنا محمد بن حاتم قال : حدثنا حبان قال : أنبأنا عبد الله عن ليث بن سعد قال : حدثني يزيد بن حبيب عن ابن أبي الصعبة عن رجل من همدان يقال له أفلح عن ابن زرير أنه سمع علياً إلخ (١) .

٣- اعتني النسائي بذكر اسم من أغفل اسمه في الإسناد وبين ذلك ورفع الإبهام وإذا كان الراوي معروفاً بكنيته يذكر اسمه ، وإذا كان معروفاً باسمه يذكر كنيته كما قال : أبو عمار اسمه عريب بن حميد ، وعمرو بن شرحبيل يكني أبا ميسرة (٢) ، وقال : أبو معشر هذا اسمه زياد بن كليب (٣) ، وقال : أبو المتوكل عن أبي سعيد الخدري ، اسمه علي بن داؤد (٤) كما قال أبو كثير سمع أبا هريرة اسمه : يزيد بن عبد الرحمن (٥) .

واذا أورد اسمه فهو يذكر نسبه كما قال : إسماعيل بن جعفر هو ابن جعفر بن أبي كثير القاري (٦) كما قال : أزهر هو ابن سعد السمان (٧) .

٤- وقد اعتني النسائي فيما يرويه عن الحارث بن مسكين (٨) أن يقول الحارث بن مسكين قراءة عليه وأنا أسمع (٩) ولا يقول حدثني ولا

---

(١) سنن النسائي : ٨/١٦٠ . (٢) السنن : ٥/٤٩ . (٣) السنن : ٤/١٧ .
(٤) السنن : ٨/٢٩٣ . (٥) السنن : ٨/٢٩٤ . (٦) السنن ٢/١٩ .
(٧) السنن : ١/٤٣ .
(٨) الحارث بن مسكين أبو عمرو المصري قاضيها ، ثقة فقيه ، من العاشرة مات سنة خمسين ومائتين ، تقريب التهذيب : ١/١٤٤ .
(٩) سنن النسائي : ١/١٢٤ .

أخبرني لأنه لم يقصد بالتحديث ، وإنما كان يسمعه من غير أن يشعر به ، قال ابن الأثير : قيل : إنه أتى الحارث بن مسكين في زي أنكره ، عليه قلنسوة وقباء ، وكان الحارث خائفاً من أمور تتعلق بالسلطان فخاف أن يكون عينا عليه فمنعه فكان يجيئ فيقعد خلف الباب ويسمع ، ولذلك ما قال حدثنا الحارث ، وإنما يقول : قال الحارث بن مسكين قراءة عليه وأنا أسمع (١) وهذا يدل على غاية الاحتياط والورع للنسائي .

٥- قد وقع فيه حديث عشاري يعني بينه وبين النبي -ﷺ- عشرة أنفس هو ما رواه في كتاب الصلاة (٢) من حديث أبي أيوب مرفوعاً : قل هو الله تعدل ثلث القرآن ، وقال النسائي : ما أعلم في الحديث إسناداً أطول من هذا .

وقال السيوطي (٣) : هذا الحديث رواه الترمذي وهو عشاري للترمذي أيضاً . قلت : فهذا الحديث بالنسبة إلى السيوطي وأمثاله في غاية العلو ، وبالنسبة إلى الإمام النسائي والترمذي في غاية النزول .

٦- وغاية ما في سنن النسائي من العلو هو الرباعيات أي ما بين المصنف وبين النبي -ﷺ- فيه أربع وسائط ، قال السخاوي : وهي أي الرباعيات أعلى ما في صحيح مسلم وسنن النسائي (٤) .

٧- إنه لا يخلى كتابه من النقل عن الفقهاء ، وإن كان ذلك قليلاً كما نقل عن مسروق فتوى في الهدية والرشوة وفي شرب الخمر (٥) ونقل عن سعيد ابن المسيب وإبراهيم النخعي وغيرهما (٦) وفعل ذلك في مواضع أخر من كتابه .

[يتبع]

---

(١) انظر جامع الأصول : ١/١٩٦-١٩٧ . (٢) سنن النسائي : ٢/١٧١ .
(٣) تدريب الراوي : ص/١٦٦ . (٤) فتح المغيث : ٣/١١ .
(٥) المصدر السابق : ٨/٢١٤-٢١٥ . (٦) المصدر السابق : ٨/٢٢٤ .

## منهجية البحث العلمي [٢] :

# قضية « المصادر » و « المراجع »

بقلم د/ظفر الإسلام خان
مدير معهد الدراسات الإسلامية والعربية بدلهي الجديدة

تنقسم المصادر إلى أولية وثانوية ، ولسهولة الأمر سنطلق على المصادر الأولية وصف «المصادر» وعلى المصادر الثانوية وصف «المراجع» والتقسيم الواضح بين هذين النوعين من المصادر ليس سهلاً ، ولكن يمكننا أن نقول - تبسيطاً للأمر- أن « المصادر» هي أدلة وشهادات أولية ألفها أو أدلى بها أصحابها أو شهودها بناءاً على ما مروا به أو شاهدوه من تجارب وأحداث وأفكار إلخ ، أما « المراجع » فهي - مثل بحثك - نتاج جهد بشري يعتمد مباشرة على نتائج جهود الآخرين ، وتتمثل « المراجع » عموماً في الكتب والمقالات وهي توجد عموماً في المكتبات العامة ويمكن الاهتداء إليها عن طريق قوائم المكتبات وبطاقاتها والقوائم الببليوغرافية العامة والمتخصصة ، ويمكن أن تكون « مراجع » الدراسات الإسلامية والعربية بأية لغة عصرية بما فيها اللغة العربية نفسها .

**المصادر :** وينبغي عليك كباحث أكاديمي أن تعتمد في بحثك على المصادر الأساسية ، وكلما كان المصدر قديماً وأقرب - زمناً - إلى الأحداث التي يتناولها كلما كان أكثر قيمة وأجدر بالاعتماد عليه ، وكلما كان المصدر حديثاً وبعيداً عن الأحداث والقضايا التي يتناولها كلما كان غير جدير بالاعتماد عليه في بحثك الأكاديمي ، وعلى سبيل المثال لو أردت تقصى المعنى الدقيق لكلمة عربية ما ، فعليك الرجوع إلى أقدم المعاجم

العربية المتوفرة بدلاً من النظر في معاجم عصرية كالمنجد ، ولكنك لو أردت أن تجرى دراسة مقارنة لتطور معاني كلمة ما فعليك الرجوع إلى كل المعاجم المتوفرة وإمعان النظر في ما يورده مؤلفوها حول معاني كلمة ما ، لتلاحظ الفروق التي تطرأ جيلاً بعد جيل وقرناً بعد آخر ، وفيما يلي ثبت ببعض المعاجم العربية المتوفرة في صورة مطبوعة ، وهي مرتبة حسب سنوات وفاة مؤلفيها (وهكذا ينبغي عليك وضع مصادرك الأساسية خلال عملية البحث وفق ترتيب زمني لتميز الأهم من الهام)

= الفراهيدي ، الخليل بن أحمد (م : ١٦٠/٧٧٦-٧٧٧) « كتاب العين » تحقيق : أنستاس كرملي

= أبو زيد الأنصاري (م : ٢١٥/٨٣٠) « كتاب النوادر» تحقيق : سعيد الخوري الشرتوني (بيروت ١٨٩٤م) ، و « كتاب الهمز» تحقيق : لويس شيخو (بيروت ١٩١٠م)

= ابن الأنباري (م : ٢٢٧/٩٣٨-٩٣٩) « كتاب الأضداد » تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (الكويت)

= الأزهري (م : ٢٧٠/٩٨٠-٩٨١) « كتاب التهذيب » تحقيق : عبد السلام محمد هارون (القاهرة)

= الجوهري (م : ٢٩٣/١٠٠٢) « الصحاح في اللغة » (القاهرة)

= ابن فارس (م : ٢٩٥/١٠٠٤) « معجم مقاييس اللغة » (القاهرة ١٢٧١هـ - ١٩٥١م)

= ابن سيدة (م : ٤٥٨/١٠٦٥-١٠٦٦) « المحكم » تحقيق : مصطفى السقا وحسين نصار (القاهرة)

= الراغب الأصفهاني (م : ٥٠٢/١١٠٨) « المفردات في غريب القرآن »





(بيروت ب. ت.) .

= الزمخشري (م : ٥٣٨/١١٤٣-١١٤٤) « أساس البلاغة » (القاهرة ١٣٤١هـ) .

= ابن الأثير الجزري (م : ٦٠٦/١٢١٠) « النهاية في غريب الحديث » (القاهرة ١٣١١هـ - ١٨٩٣م) .

= المطرزي (م : ٦١٠/١٢٢٠) « المغرب في ترتيب المعرب » (حلب ١٩٧٩م) .

= الرازي (م : بعد ٦٦٦/١٢٦٨) « مختار الصلح » (القاهرة ١٩٧٦م) .

= ابن منظور (م : ٧١١/١٣١١) « لسان العرب » (بيروت ١٩٥٦م) .

= الفيومي (م : ٧٧٠/١٣٦٥-١٣٦٦) « المصباح المنير» تحقيق : مصطفى السقا (القاهرة ١٩٥٠م) .

= الفيروزآبادي (م : ٨١٧/١٤١٥) « بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز» (القاهرة ١٩٧٠م) « القاموس المحيط » (القاهرة ١٩٥٢م).

= الزبيدي (م : ١٢٠٥/١٧٩٠) « تاج العروس » (بنغاري ١٩٦٦م) .

ونفس الشئ ينطبق على دراسة التاريخ الإسلامي على سبيل المثال .. فلن نعتمد في دراستنا الأكاديمية عن أوائل التاريخ الإسلامي على دراسات حديثة مثل كتابات أحمد أمين أو أحمد شلبي ( وإن كانت هذه الكتابات ستفيدنا في كيفية فهم مؤرخين معاصرين لتلك الحقبة وستدلنا ، كذلك ، إلى بعض المصادر والمراجع) بل سنعود إلى أقدم المؤلفات مثل (على سبيل الذكر لا الحصر) :

= ابن أبي طاهر طيفور (م : ٢٨٠/٨٩٢) « تاريخ بغداد » (المجلد السادس هو الباقي في أيدينا وهو يتناول عصر المأمون منذ دخوله بغداد

إلى وفاته عام ٢١٨هـ - ٨٣٣م).

= البلاذري (م: نحو ٢٧٩/٨٩٢) « فتوح البلدان » تحقيق: رضوان محمد رضوان (القاهرة ١٩٣٢م) (نشرة لأول مرة المستشرق الهولندي دي غويه سنة ١٨٧٠م).

= الدينوري (م: ٢٨٢/٨٩٥) « الأخبار الطوال » تحقيق: كراتشكوفسكي (ليدن ١٩١٢م) وعبد المنعم عامر (القاهرة ١٩٦٠م).

= اليعقوبي (م: ٢٩٢/٩٠٤-٩٠٥) « تاريخ اليعقوبي » (النجف ١٣٥٨هـ).

= الطبري (م: ٢١٠/٩٢٢-٩٢٣) « تاريخ الرسل والملوك » تحقيق: دي غويه (ليدن) ومحمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة ١٩٦٩م).

= خليفة بن خياط العصفري (م: ٢٤٠/٨٥٤) صاحب « التاريخ » و « الطبقات ».

= المسعودي (م: ٣٤٦/٩٥٦-٩٥٧) « أخبار الزمان ومن أباده الحدثان » (القاهرة ١٩٣٨م) « التنبيه والاشراف » تحقيق: دي غويه (ليدن) وعبد الله إسماعيل الصاوي (القاهرة ١٩٣٨م) « مروج الذهب ومعادن الجوهر» تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد (القاهرة).

وسيقل اعتمادنا على متأخرين مثل:

= مسكويه (م: ٤٢١/١٠٣٠) صاحب « تجارب الأمم وتعاقب الهمم » تحقيق: أ. ف. امدروز ١٩١٦م. والذي انتهى فيه إلى سنة وفاة عضد الدولة (٢٧٢/٩٨٣) (فيما يتعلق بتاريخ فترة ما قبل البويهيين).

= ابن الجوزي (م: ٥٩٦/١١٩٩-١٢٠٠) « المنتظم في تاريخ الملوك والأمم » (حيدرآباد الدكن ١٣٩٥هـ) (فيما يتعلق بتاريخ ما قبل العهد





السلجوقي).

= ابن الأثير (م: ٦٣٠/١٢٣٢-١٢٣٣) « الكامل في التاريخ » (القاهرة ١٣٤٨هـ).

= ابن الطقطقي (م: ٧٠٩/١٣٠٩) « كتاب الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية » فيما يتعلق بالغزو التتري وسقوط الخلافة العباسية في بغداد سنة ٦٥٦/١٢٥٨م).

= الذهبي (م: ٧٤٠/١٣٣٩-١٣٤٠) « كتاب دول الإسلام » (حيدرآباد الدكن ١٣٣٧هـ)(أكمله السخاوي على نفس منهجه إلى سنة ٩٠١هـ وسماه « الذيل التام لدول الإسلام » « تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام » - (القاهرة ١٣٦٨هـ).

= ابن تغرى بردي (م: ٨١٣/١٤١٠) « النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة » (القاهرة ١٩٢٩م).

= السيوطي (م: ٩١١/١٥٠٥) « تاريخ الخلفاء » تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد (ط. ٤ القاهرة ١٩٦٩م) (يشمل التاريخ من أيام أبي بكر إلى عهد قايتباي) « حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة » (أوپسالا ١٨٣٥م) (فيما يتعلق بفترة ما قبل المماليك).

إلا أن هذه المصادر نفسها تصبح غاية في الأهمية حين تتحدث عن أحداث عصرها أو ما قبل عصرها بقليل (مثل رواية مسكويه حول البويهيين).

ولكن مبدأ « المصدر القديم أفضل من الحديث » لا ينطبق على كل الحالات .. فمن المعهود في المؤلفات العربية القديمة أنها أشبه بموسوعات في مجالها وهي تحصى كل ما وصل إليه العلماء والمؤرخون إلى زمن

المؤلف وهي بالتالي كثيراً ما تحوى في طياتها كتبا أو أجزاءا من كتب تعتبر مفقودة الآن ، ويشير المؤلفون المحدثون في بعض الأحايين إلى مصادر معلوماتهم ويهملون ذكرها في أكثر الأحايين ، وقد جمع البعض في السنوات الأخيرة كتباً تاريخية وفقهية اندرست بعد استقاء مقتطفاتها من بطون مختلف الكتب المتأخرة . وعلى سبيل المثال : جمع الدكتور محمد مصطفى الأعظمي أجزاء من كتاب عروة بن الزبير (م : نحو ٩٢/٧١١-٧١٢) « مغازي رسول الله » (الرياض ١٤٠١هـ - ١٩٨١م) بعد استخراجه من بطون مختلف الكتب التي حوت اقتباسات منه ، ولعله أول ما دون في السيرة النبوية .

وأحياناً يصل الباحثون إلى كتب ظن الناس أنها اندرست منذ زمن طويل ولم يجدوا إلا مقتطفات منها في بعض الكتب ، وعلى سبيل المثال : اكتشف الباحث التركي أ. ز. ف. طوقان (A.Z.V. Togan) في مشهد سنة ١٩٢٢م رسالة أبي دُلَف مِسْعَر بن مهلهل (م : نحو ٢٩٠/نحو ١٠٠٠) حول رحلته عبر آسيا الوسطى وبلاد فارس (نشرت بالقاهرة سنة ١٩٥٢م ثم بموسكو سنة ١٩٦٠م) ومن هذه الكتب رسالة ابن فضلان في بلاد البلغار « رسالة ابن فضلان في وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة سنة ٣٠٩هـ » تحقيق : سامي الدهان (دمشق ١٩٥٩م) والتي كانت معروفة من قبل عبر مقتطفات منها استخدمها ياقوت الحموي (م : ٦٢٦/١٢٢٨-١٢٢٩) في « معجم البلدان » تحقيق : وستنفلد (لايبزيغ ١٨٦٨م) والقزويني (م : ٦٨٢/١٢٨٣م) في « آثار البلاد وأخبار العباد » تحقيق : وستنفلد (غوتنغن ١٨٤٨م) .

وانطلاقاً من نفس هذا المعيار يمكن اعتبار تاريخ الطبري « تاريخ





الأمم والملوك » (انتهى إلى حوادث سنة ٣٠٢هـ) مصدراً للقرن الأول ونصف القرن الثاني الهجري ، وذلك لأن الطبري يستخدم مؤلفات اندرست مثل كتابات سيف بن عمر التميمي (م : ٢٠٠/٨١٥) صاحب كتب « الجمل » و « الفتوح الكبير » و « الردة » والزهري (م : ٢٤٩/٨٦٣) صاحب كتاب « الضعفاء » في رواة الحديث و أبو مخنف الأزدي (م ١٥٧/٧٧٤) صاحب « فتوح الشام » وغيرها من المؤلفات ( التي بقي بعضها مثل « مقتل الحسين » و « أخبار المختار بن أبي عبيد الثقفي » والمدائني (م : ٢٢٥/٨٤٠) صاحب المؤلفات في المغازي والسيرة النبوية وسير الخلفاء بقيت منها « المردفات من قريش » و « التعازي » وهم المؤلفون الذين كانوا قد جمعوا أدق المعلومات حول الأسر والقبائل وغيرها من الآثار ، وابن الأثير (م : ٦٣٠/١٢٢٢-١٢٣٢) في « الكامل في التاريخ » يقدم لنا معلومات هامة ابتداء من القرن السادس الهجري الثالث عشر الميلادي ، إلا أنه يتحفنا أحياناً بمعلومات أغفلها من سبقوه من مؤرخين حول وقائع الجناح الشرقي من العالم الإسلامي كذكره لتفاصيل المعارك التي جرت بين العرب والصينيين في آسيا الوسطى في القرن الثامن الميلادي ، والتي قررت التوجهات التاريخية والثقافية لتلك المنطقة لقرون طويلة قادمة . ويملك ابن الكثير كذلك معلومات وفيرة حول المغرب والأندلس على بعدهما من « الجزيرة » حيث كان ابن الأثير يقيم تحت رعاية أتابك الموصل .

[يتبع]

# الكتب المحرفة وشهادة القرآن عليها

محمد رشيد - كاليكوت - كيرلا

إن غاية الرسالات السماوية محيطة بسعادة البشرية ، وهذه الرسالات تسعد الإنسانية بالفوز في الدنيا والآخرة ، وعلى الإنسان أن يعترف بألوهية الله وأنه خالقه ورازقه ، وأن يعبده وحده دون غيره من المخلوق ، وتتطلب الشريعة الإسلامية أن تكون حياة الإنسان حسب مقتضياتها وإلا تكون متعرضة للدمار والهلاك ، ويخسر الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين ، ولتصريح هذه الحقائق أرسل الله الأنبياء في أحقاب مختلفة ، قاموا بهذه المهمة العظيمة أحسن قيام ، ومن المعلوم أن الله أوحى إلى هؤلآء الأنبياء وأنزل معهم الكتب والصحف .

يقول الله تعالى : ﴿ إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داؤد زبوراً • ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليماً • رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً ﴾ (سورة النساء ، الآيات : ١٦٢-١٦٥) .

ويقول الله عزوجل : ﴿ وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم مصدقاً لما بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه هدىً ونور ومصدقاً لما بين يديه من التوراة وهدىً وموعظةً للمتقين • وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون ﴾ (سورة المائدة ، الآية : ٤٦-٤٧) .

والإنجيل من الكتب المنزلة المحرفة ، وهي يعد اليوم بأناجيل أربعة : إنجيل متى ، إنجيل مرقس ، إنجيل لوقا ، إنجيل يوحنا ، وكتاب أعمال الرسل للوقا وعدة رسائل لبولس ، وبطرس ويعقوب ويهوذا



ويوحنا ، ولو أمعنا النظر في هذه الأناجيل التي تعرف بالكتاب المقدس لنرى أن هناك تلاعباً جرى بكلام الله ، وافترى على المسيح - عليه الصلاة والسلام - وأما الأناجيل الأربعة المتداولة اليوم عند النصارى فقد اختيرت من مآت الأناجيل التي عمت في القرن الرابع الميلادي ، ولغتها غير لغتها اليوم ولكن لم يعلم من هو المترجم لهذه الأناجيل من لغتها الأصيلة .

« في سنة ٣٨٤هـ أمر البابا داماسيوس بترجمة لاتينية جديدة من العهدين القديم والحديث للكنائس ، وكان تيودويس الملك قد ضجر من الخصامات الجدلية بين الأساقفة ، قال مرتب الأناجيل : « بعد أن قابلنا عدداً من النسخ اليونانية القديمة ورتبناها بمعنى أننا نفحنا ما كان فيها مغايراً للمعنى وأبقينا الباقي على ما كان عليه » ، ثم إن هذه الترجمة قد ثبتها المجمع ، « الزيد تتين » سنة ١٥٤٦م أي بعدها على ما كان عليه ، ثم إن هذه الترجمة قد ثبتها سنة ١٥٩٠م وأمر بطبع نسخ جديدة ثم خطأ كلمنغوس الشام هذه النسخة الثانية أيضاً وأمر بطبعة جديدة منقحة هي الدارجة اليوم عند الكاثوليكيين » [ تفسير الجواهر : ج/٢ ، ص/١٢١ ، الطبعة الثانية] .

أدخل في كتاب الأناجيل الأراجيف والأكاذيب ، وتسرب إليها أساطير وخرافات ، واختلق علماء المسيحية في القضايا التي تتصل بشأن المسيح (ع) لها ، وتعاليمه أباطيل ، وامتزجت المسيحية بالوثنية والمجوسية والبوذية ودب إليها مسألة التثليث وقضية الصليب والفداء وكذلك قضية طبيعتين للمسيح ، هما : ناسوتية و لاهوتية [ راجع للتفصيل تفسير المنار ، الجزء السادس ] .

« التوراة والأناجيل المنزلة من الله نراها اليوم محرفة ، هذا ما يعترف به علماء الأناجيل » .

Kurt Kuhl - the Old testament: its Origin and Com post Hom (LONDON 1961) (PP 47, 51, 52).

وافترقت الديانة المسيحية إلى فرق وأحزاب ، وتفرد كل واحد منهم بكتاب مختص وعدوا ما عداها باطلة ومحرفة ، وأما تبرير علماء النصارى أن الكتاب المقدس دون بأقلام ملهمين ، فيكفي لتفنيد هذا الدعوى أنها تعارض بعضها بعضاً .

إن الكتاب المقدس صور المسيح بأبشع تصوير وفيما يلى بعض النماذج لذلك .

إن يسوع المسيح (ع) . جاء إلى الأرض ليشيع الفتنة وإليه يشير هذه الكلمة .

« ولا تظنوا أني جئت لألقى سلاماً على الأرض ما جئت لألقى سلاماً بل سيفاً [ متى : ١٠-٣٤ ] .

وفي موضع آخر يقول : « جئت لألقى ناراً على الأرض فماذا أريد لو اضطرمت ولي صبغة اصطبغها وكيف انحصر حتى نكمل ، أتظنون أني جئت لأعطى سلاماً على الأرض كلا أقول لكم بل إنقساماً » [لوقا ١٢- ٤٩-٥١ ] .

وغلوّ النصارى في دينهم قد سبب عدم الوصول إلى دين الله الصحيح ورضا الله سبحانه وتعالى ، يقول الله تعالى :

﴿ ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظاً مما ذكروا به ، فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة ، وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون ﴾ (سورة المائدة ، الآية :١٤) .

والتقط كتاب الأناجيل من أهواء الذين ضلوا وأضلوا وشوّهوا شخصية المسيح - عليه الصلاة والسلام - وتعاليمه بأبشع الصور ، ومن بعض نماذج التشويه :

« أنا والأب واحد » [ يوحنا ١٠ - ٣٠ ] .

« فاذهبوا وتلمّذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الأب والإبن والروح



المقدس » [ متى ٢٨- ١٩ ] .

« وأنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني ليكونوا واحداً كما أننا نحن واحد » [ يوحنا ١٧- ٢٢ ] . أراد الله أن لا يهلك القوم ولهذا بذل إبنه فداء للأمة .

« لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل إبنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية » [ يوحنا ٣- ١٦ ] .

وهناك كثير من انحرافات النصرانية التصقت بالكتاب المقدس لا يتسع المجال لذكرها ، وهذا الانحراف دب إليهم بسبب تقليدهم بالأمم السالفة كما ذكرنا آنفاً ، يقول تعالى :

﴿ قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قومٍ قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل ﴾ (سورة المائدة الآية : ٧٧) .

يقول تعالى عن مصير الشؤم لهؤلآء الذين تلاعبوا بكلام الله :

﴿ فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله • ليشتروا به ثمناً قليلاً • فويل لهم مما كتبت أيديهم • و ويل لهم مما يكسبون ﴾ (سورة البقرة ، الآية : ٧٨) .

فالحقيقة أن الديانة المسيحية تقوم على المعتقدات الفاسدة والأساطير والأهواء البشرية التي ما أنزل الله بها من سلطان ، واختلقت كثيراً من الأباطيل باسم المسيح - عليه الصلاة والسلام - كذباً وافتراءاً عليه ، دعا القرآن الكريم النصرانية إلى ابتعاد عن هذه الخرافات والأباطيل إلى تعاليم المسيح - عليه الصلاة والسلام - الحقة ومن الضلالة إلى الهداية ومن الظلمات إلى النور حيث قال :

﴿ يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير،قد جاءكم من الله نورٌ وكتابٌ مبين ﴾ (سورة المائدة ، الآية : ١٥) .

# سنن الله غالبة والنصر قادم

بقلم : فضيلة الشيخ سعود بن محمد آل عوشن - الرياض

إن الكثير من أبناء أمتنا أخذ يؤمن بالماديات أكبر من إيمانه بصدق وعد الله لعباده بالنصر والسنن الكونية الثابتة التي لا تتغير ولا تتبدل ويتخذ من هذه الماديات من عدة أو عتاد مقاييس للقول بالنصر أو الهزيمة وقد نسي أو تناسى أن النصر بيد الله لا بالماديات وان كان مأموراً بالاستعداد للقاء العدو وأخذ كل حيطة ، لكن ليس معنى هذا أن النصر بهذه الأسباب ، إنما هي وسائل مأمور بها وفي نهايتها، انفاذاً للواجب ، لكن لا تتخذ مبدأ للنصر أو الهزيمة أبداً فالنصر بيد الله والهزيمة من أمره وتقديره ، ولنا بمراحل التاريخ وأطواره خير دليل على ذلك ، فلو كانت الماديات مقياساً لأي معركة مضت لما قام للإسلام عزة في كل أطواره ومعاركه ، فما كانت هناك يوماً ما معركة متقايضة ، بل ولا متقاربة ، فقد كان الفارق الكبير فيها لأولياء الشيطان ، ولكن النصر لأولياء الرحمن رغم الفوارق في العدة والعتاد وكل جوانب النواحي المادية ، فهل يعي أبناء بوش ذلك ويصححوا مفاهيمهم للحياة ومبادئها ، أن سيبقون على عمياتهم ، يلهثون وراءهم في كل نازلة أو تهديد بها ، ويسلمون أنفسهم لذلك ، لجوءاً وذلاً واتباعاً من غير ثقة بالنفس ، أو نصراً لله إذا ما بذلت جهدها وآمنت بربها وجاهدت من أجله وحده ، ونسيت أن الله ينصر من ينصره حقاً ، ولنأخذ من تاريخنا المعاصر عبرة ففي جهاد أفغانستان أعظم دليلٍ على ذلك ، فلقد قام الجهاد على توحيد الله ومناصرته وبأقل الإمكانيات المادية ، بنادق تقابل قنابل و قاذفات و صواريخ ، و بغال



وحمير تقابل طائرات ودبابات ، ورجال مؤمنون حفاة وشبه عراة أمام أكبر عملاق في الدنيا يملك أكبر الإمكانيات المادية جحافل جيوش جرارة تغطي الأرض والسماء وتمتد من أرض المعركة إلى مصدر القوة والتموين موسكو ، أي تناسب هذا وبنصر من الله يندحر هذا العملاق مهزوماً أمام القوة الإلهية ، بل وينهار كالبناء الخرب ، فتتفكك أوصاله وتنهد أركانه وتذهب قواه وتتناثر أشلاؤه ، ويذهب يستجدى من غيره ، في طلب الدعم والمدد ، ويمد بأضعاف أضعاف ما يعطى للجهاد بأكمله ومع هذا لا تقوم له قائمة ، بل يزداد في الإحباط والانهيار فضلاً من الله ونعمة ، ويقطع المدد والدعم عن الجهاد والمجاهدين من المؤيدين والمناصرين بل ويشوه الجهاد ، ويراهن المراهنون على هزيمته وخسارته بعد فرض الحصار عليه ويشاء الله أن يندفع في الانتصار حتى يصل إلى قمة مراده المادية العاصمة ، فينزعج أصحاب الباطل ويوحدون قواهم رغم تباينهم في المبادئ والاتجاه ، والأديان ، وعداوة بعضهم لبعض ، ولكنه الكفر ملة واحدة ، واليوم ماذا يجابه المجاهدون ؟ إنهم يجابهون قوى الدنيا بكاملها أو غالبها ، قوى المكر والخديعة ، قوى الدس والافساد ، قوى التخريب والتفريق والتشتيت ، قوى شراء الضمائر للتفريق ، انهم لما أحبطوا في المجابهة والمواجهة بمادياتهم رغم تفوقها الذي لا يتناسب أو يقارب بما يواجهون به ، ذهبوا إلى سبل الشيطان وخطط الماسون فاندسوا في الصفوف وتحت الحجب ومن وراء الستار وباسم النصح والمودة والإصلاح حيث تتبع شهوات النفوس ونزواتها في حب السلطة والسيادة ليتخذوا منها وسيلة للتفريق بين المجاهدين وبالنمامة والوشاية والافتراء والتزوير وغير ذلك من الحيل الشيطانية ، ويجدون

من يسعى لهم أو يصغى لأقوالهم أو يتخذ بعض وصاياهم ، ولاغرابة في ذلك فالمجاهدون بشر ، يتأثرون بما يتأثر به البشر من مؤثرات خفية أو ظاهرة ، وقد يسيرون وراء ذلك اعتقاد صدقه ونصحه وصوابه لما يلبس به من وسائل التلبيسات ، وأحدث ما وصل إليه علم الإنسان من وسائل المكر والخديعة ، لا من الأعداء الظاهرين ولكن من الأصدقاء والأصفياء والاخوان الذين اتُخذوا مطايا لذلك .

إن الجهاد اليوم في أفغانستان يواجه أشرس معركة وأقواها نفوذاً ، إنها معركة داخلية تسرى في الجسم كما يسرى الدم ، إنهم شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض من الأصدقاء والأعداء ، اتحدوا في جهودهم وقواهم وحشدوها في الحيلولة دون إقامة حكم إسلامي ، وقد استخدموا كل وسيلة وطريقة تواصل إليها العلم البشري فعسى الله أن يحبط كيدهم كما أحبط سحر سحرة فرعون وأن يثبت المجاهدين ويريهم الحق حقاً ويرزقهم اتباعه والباطل باطلاً ويعينهم على اجتنابه ، وأن يبصرهم لخفايا الأمور وظواهرها .

وإننا لواثقون بحول الله لا شريك له أن النصر والعزة لله وحده ولرسوله والمؤمنين وانه سيقوم حكومة إسلامية عامة إن شاء الله تعالى طال الطريق لحكمة أرادها الله أم قصر لأمر قدره الله ، المهم أن نطمئن ونؤمن بالنصر المبين إن شاء الله تعالى وأن نبذل ونجتهد ونجاهد ما في إمكاننا ، فهذا واجبنا ونحن مأجورون عليه ؛ أما النصر فهو بيد الله يهبه لمن يشاء ومتى شاء فنسأله ذلك لجهادنا في أفغانستان وفي كل مكان ولأمتنا الإسلامية عامة ، انه سميع مجيب وبالاجابة جدير، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وبارك وسلم .

## العالم الإسلامي :

# رسالة إلى إخواننا العرب المسلمين

أسامة أمين الطيب
من دعاة الفلبين

أيها الإخوة الأعزاء ! إن القلوب دائماً معلقة بكم ، وإن العيون لتنظر إليكم وإن الآمال معلقة بكم بعد الله جل جلاله لما لسلفكم الصالح من الفضل العظيم والأجر الكبير في هدايتنا بإذن الله إلى هذا الدين القويم بعد أن كنا كغيرنا شبه حيوانات نأكل ونشرب ونتناسل ونعبد الأوثان كأي قطر لم يبلغه الإسلام ، وأنقذنا الله بفضله ومنته ثم بفضل أولئك الذين قطعوا الفيافي والفجاج خلال الشهور العديدة وبين الأخطار المحدقة من أمواج البحار وهوامه وقراصنته ، ويهلك البعض منهم شهيداً - إن شاء الله تعالى - ويصل إلينا بعد تلك المخاطر البعض لا لغرض مادي أو توسع سياسي أو أي غرض أخر سوى أداء الواجب في إبلاغ دين الله إلى عباده لإعلاء كلمته على أرضه وإظهار دينه لأنهم عرفوا واجبهم وأدركوا مسئولياتهم وخافوا يوم الحساب ، عرفوا معنى نزول القرآن الكريم في بلدهم وبلغتهم وعلى أحدهم ان ذلك يعني مما يعنيه تحمل العب ء الكبير في حمله وإبلاغه ، ثم أدركوا معنى الآيات الأخرى بإبلاغه والدعوة إليه وأن ذلك أمر واجب التنفيذ ، وعرفوا معنى التقصير فيه والحساب عليه ثم علموا علم يقين عظيم الأجر والثواب لمن قام بهذه الدعوة لأنها أهم وظيفة في الحياة فهي وظيفة الأنبياء والرسل ومن

تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . إذاً هذه أمور تقتضي التضحية بالغالي والنفيس والنفس والمال وكل ممتلكات الحياة من ماديات أو معنويات أو طاقات علمية أو عملية،وتعلموا ما فعلوا وحق لهم ذلك الفعل والفوز بالأجر والثواب لما أحدثوا من أثر فعال في هذه الجزر حيث أنقذوها من براثن الشرك إلى هدى الإسلام ، فنسأل الله لنا ولهم القبول والغفران والفوز بعالي الجنان إنه سميع مجيب.

**أيها الإخوة الأعزاء !**

مع اعترافنا بجميلكم في مؤازرتنا في هذا العصر الحاضر بالمساعدات المادية والمعنوية منذ وبدء اليقظة الإسلامية الجديدة إلا أننا نعتبر أنفسنا وإياكم مقصرين تقصيراً كبيراً تجاه هذا الدين العظيم وما يجب له من الدعوة والإبلاغ . فنحن وإن كنا قد أخذنا في الدعوة إلى الله وأنشأنا المؤسسات التعليمية والتربوية باللغة العربية ، وعلى مناهج البلاد العربية ومنهج السلف الصالح بجهودنا الضعيفة ومساعدتكم بالإمداد المادي والمعنوي وساعدت هذه في نشر اللغة العربية لينفذوا إلى الإسلام من خلالها مباشرة فيرتووا من معينه الصافي واهتدى الكثير وأسلم كذلك من الوثنيين والنصارى ، إلا أننا نعتبر أن هذه جهود ضعيفة وأعمال هزيلة ، إذا قورنت بما يجب علينا جميعاً وبما نملك من الوسائل الآلية مما يمكن من إبلاغ دينه والدعوة إليه في كل دار وفي أي موقع وبأقصى سرعة وأقل تكلفة وأعطى الله منه الإسلامي من خزائن الأرض الظاهرة والباطنة ما لم يحصل عليه الأولون مما يهيئ لهم أداء هذا الواجب على خير وجه ، لكن مع الأسف قصروا تقصيراً كبيراً ، العاملون منهم والمديرون والمالكون للثروة إلا القليل ، فبقيت شعوباً وأمما لا





تعرف من الإسلام إلا إسمه ومن عرف إسمه لم تبلغه حقيقته ، أنه دين الله الحق الذي يجب اتباعه ولم يعلم عن مبادئه ومحاسنه وأحكامه إلا ما ينقله أعداؤه من تشويهات له . ومع هذا تنقل الأمة الإسلامية وغيرها لعبة من لعب السفهاء - كالكرة مثلاً - وتبلغها إلى كل دار بصورها وأحكامها وقوانينها وسذاجها المسميين بالأبطال وغير ذلك وبكل لغة حتى يفهمها كل فرد،أما الإسلام فلا .. وإذا نقل عنه شيئاً نقلت صورة الكعبة المشرفة - حرسها الله - أو مظاهر الحجاج أو بعض المساجد وبدون دعوة وإيضاح على ما ينبغي وبلغات لا يفهمها إلا المسلمون مسبقاً فتصبح عند غير المسلمين كأي صورة أخرى ، فالفاتيكان تنقل صورة الحشود فيه لصلاتهم الضالة ومعابد بوذا تنقل صورها بعباداتها وإله الصين كذلك وغيرها من صور المعابد والعبادات الضالة ، ولا يعرف من لا دين له أيها أصوب لأن هذه المنقولات مجرد دعاية لا دعوة وإيضاح .. ألا يعتبر عملنا هذا تقصيراً كبيراً في حق أنفسنا وديننا ؟ بلى والله ؟ ومن جانب أخر إذا رجعنا إلى تعليمنا ومدارسنا نجدها تقوم بالدرجة الأولى على رسوم طلابها الفقراء أو ما يتبرع به بعض الفقراء أو سديدي الحال ؟ لا الأغنياء .. وتسير الهويناء بشكل يزدراء ، فالكتاب المدرسي الذي هو عماد التعليم لا يوجد إلا بالنقل من اللوح - السبورة - أو تصويراً لمن يجيد قيمة التصوير .. ومباني المدارس معظمها من القش والأخشاب والزنك . وبالإضافة إلى سوء مظهرها تهلهل ماء الأمطار على طلابها ، والمدرسون معظمهم متطوعون أو بمكافآت رمزية ، فيدرس درساً ويترك الأخر ولا عليه من سبيل ما دام متطوعاً .. والمراجع الإسلامية شبه معدومة ، ورب الأسرة قد يدرس واحداً من أبنائه أو أكثر ولا

يدرسهم بالكلية لأنه قد لا يجد النفقات الدراسية من رسوم أو أدوات مدرسية .

وهكذا يسير تعليمنا الإسلامي بخط متعرة ، ومع هذا له أثر أكبر مما يعطى له من إمكانيات مادية أو معنوية ، وذلك فضل من الله ونعمة لا من البشر المقصرين أو أصحاب الباطل ، ففي كل حي أو قرية تجد فيها مدرسة على الطراز الحديث بالبلاد ومجهزة بالمعلمين والكتب والوسائل المدرسية وحتى وسائل العلاج ، وتستميل أبناء المسلمين بالإغراءات والعروض المادية فتعطيهم الكتب والمواد المدرسية مجاناً بل واللباس والعلاج ، وفي بعض المواقع تعطي لأهلهم بعض الأطعمة والملابس ، وفي مواقع أخرى تهيئ لهم المساكن للعائلة بكاملها مقابل تمكينهم فقط واحداً في مدارسهم لينصروه أو يمسخوا من إسلامه فيكون حربة ضده وحتى الجبال العالية التي لا تصل إليها السيارات يصلونها بالطائرات المروحية أو على الدراب .. فمال هؤلآء القوم مع ضلالهم يبذلون بسخاء ويتعاونون بشدة ويتحملون من الأتعاب والغربة في المسافة ما لم نتحمله نحن أبناء البلاد وأبناء المسلمين .. وهم قد أتوا من بلاد الترف والنعيم .. لماذا هذه المفارقات أيها الإخوة الأعزاء .

أين الإسلام لا يتحمل في سبيله الاساعات أو أيام قلاقل وعلى وسائل مريحة وفي نعم بدون مشاقة ويعتبر هذه مفاخرة .. وأين الضلال يقيم الشهور والسنين ويخترق الغابات ويتسلق الجبال العاليات ويجتاز المخاطر . كل ذلك في سبيل الدعوة إلى ضلاله .. لماذا هذه الفوارق ؟ ألا يدل ذلك على خلل في المنهج التربوي لأمتنا المعاصرة ؟ بلى والله إنه لبرهان عليه .



ولو نهجنا منهج رسول الله -ﷺ- في تربية أصحابه وما ساروا عليه في تربية أتباعهم ومن بعدهم : أولئك الذين فتحوا الدين بكامله آنذاك . لو فعلنا ذلك لما سبقنا هؤلآء إلى أعمال التضحية والبذل في سبيل المبدأ . إن هذه هي رسالتكم حملة العلم والمعرفة ومسئوليتكم تجاه أمتكم بأمن ، نزل هذا الدين القويم بلغته وفي بلده .. مسئوليتكم بالدرجة الأولى ثم مسئولية كل فرد مسلم بأن تربوا الأمة الإسلامية على حمل همة الإسلام وجعله أهم شئ في الحياة على الفرد المسلم فإذا بصرتموهم إلى هذا الواجب وأشعرتموهم بمسئوليتكم ودبيتموهم على ذلك .. فإن هذا كفيل بإعادة دور - الأمة الإسلامية إلى مكانتها اللائقة بها .. فهل أنتم فاعلون ؟ إننا والله مقصرون ، نهتم لمأكلنا ومشربنا وراحتنا أكثر مما نهتم للإسلام بل الكثير منا لا يهمه إلا نفسه إسعادها بالماديات ولا يحمل للإسلام هما . ومن حمل منه شيئاً قارنه بمصلحته قبل الإقدام عليه . نسأل الله العون والبصيرة لنا ولإخواننا في كل مكان .

**أيها الإخوة الأعزاء !**

إن هذه مشاعر نحملها وأثقلت كواهلنا وأبدينا لكم طرقاً منها من باب تبادل الشعور والإحساس وإلا فنحن نعلم أن إخواننا العرب المسلمين أعلم منا بهذه الأمور وما ينبغي تجاهها فلعلكم تشاركوننا في حمل هذه المشاعر وإبلاغها إلى إخوانكم الذين لم يبلغهم العلم بها ولعل المجلات الإسلامية تنقل بعضاً من الصورة الواقية لأحوال هذه الأمة الواقعة في بلد نائي مختفي عن الأنظار لا إعلام عنه إلا إعلام السوء ومع أن الغلبين بلد ذو خير وعطاء إلا أن مصادر الثروة والأعمال فيها استحوذ عليها النصارى بالسلطة الحاكمة بل حتى تجار المسلمين استحوذت عليهم

منظمات الضلال من ماسونية أو روتارية أو غيرها وسخرت أموالهم لخدمتها بالتخريب والانحلال باسم الإنسانية وخدمتها ورفاهيتها بدلاً من الهداية والرشاد ، ونذكركم والذكرى تنفع المؤمنين بأنكم بعلمكم هذا قد تحملتم شيئاً من المسئولية عن هذه الأمة فعليكم بذل المستطاع من الجهد والمال والعلم والعمل أو الإعلان أو التوعية لإصلاح هذه الأوضاع من ناحية ومن ناحية أخرى تجاه الدين وإبلاغه والدعوة إليه ، فلدينا غابات وجبال يسكنها بشر لم نبلغهم دين الله الحق بالطريقة التي يفهمونها ، إننا والله لمسئولون عن ذلك وقد يمسكون بنا يوم القيامة عند الواحد القهار ، ويطلبون الإنصاف لأنهم لم يبلغوا بهذا الدين رغم توفر الوسائل والاستطاعة لذلك نسأل الله العفو عند الحساب والرحمة يوم العقاب .

**أيها الإخوة الأعزاء !**

مع ما ذكرناه أعلاه من واجبات ومسئوليات ومشاعر فإننا نعترف بفضلكم سابقاً ولاحقاً ونقر بجهدكم ونقول أن لكم الباع الطويل في هذه الأعمال ونتائجها تعليماً ودعوة فما وجدنا المدد المادي والمعنوي إلا من الله ثم من إخواننا العرب المسلمين . فنسأل الله لنا ولهم القبول والغفران والرحمة الواسعة كما نسأله أن يقدم النصر والتمكين للإسلام والمسلمين في إعلاء كلمة الله على أرضه ، وإظهار دينه على الدين كله ولو كره المشركون وما ذلك على الله بعزيز وبالإجابة جدير وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

.....

## رسالة من السفارة التونسية في الهند

إن تونس الخضراء التي يرجع تاريخها إلى ثلاثة آلاف عام ، دخلها الإسلام في القرن الأول من الهجرة وهي تعد قلعة الإسلام الأولى في الشمال الإفريقي ، حيث أسس عقبة بن نافع مدينة القيروان وجامعها الشامخ ، ومن هذه المدينة واصل الإسلام زحفه إلى أن اكتسحت جيوشه كامل الجزائر والمغرب إلى أن وصلت إلى الأندلس .

وتونس اليوم كما كانت بالأمس وفية لتراثها العربي الإسلامي وسوف لن تحيد عنه رغم كره الناهضين لها والمتآمرين على استقرارها ومناعتها وستبقى تونس منارة يحتذى بها في كل ما يتعلق بالأصالة الحقة والتفتح المتزن والتقدم المطرد من أجل رفع مستوى عيش مواطنيها وتوفير أسباب العيش الكريم والاكتفاء الذاتي كما أن تونس أرض الحضارات هي أيضاً أرض التلاقي والمحبة والتسامح ، قوتها تكمن في وحدة شعبها العربي المسلم وفي إخلاص ونزاهة قادتها الساهرين على جميع مستوياتهم على البذل والعطاء متخذين من قـــوله تعالى : ﴿ و قل اعملوا فسيرى الله عملكم و رسوله والمؤمنون ﴾ صدق الله العظيم .

وجاء السابع من نوفمبر ١٩٨٧م وأخذ الرئيس زين العابدين بن علي مقاليد الحكم بعد انتخاب حر ونزيه من طرف شعب تونس الذي كان يترقب التغيير بفارغ صبر في خشية وقلق ، وقد سعى الرئيس بن علي منذ توليه مقاليد السلطة إلى الاستجابة إلى طموحات الشعب وإلى زرع الثقة في النفس والاطمئنان والمصالحة بين كل الفئات وترسيخ جذور الحضارة العربية الإسلامية والاعتزاز بالانتماء إليها .

أخذت كلية الشريعة وأصول الدين حظها من جديد وأضيئت الجوامع وامتلأت بيوت الله المنتشرة في كافة ارجاء البلاد بالفقهاء والمدرسين والطلبة ، واستأنفت كلية الزيتونة نشاطها وفتحت أبوابها أمام الطلبة القادمين إليها من أقصى البلدان الإفريقية طالبين للعلم والدين ، وأضيئت المساجد التي أقيمت في كل مكان ، ولئن توخت تونس الجديدة الانجازات ذات الطابع الديني فإننا لا ننسى تعاليم ديننا الحنيف الذي يأمرنا بالاجتهاد والتطور ومواكبة العصر حتى يكون بحق ديناً صالحاً لكل زمان ومكان وحتى تكون بحق خير أمة أخرجت للناس ، وفي نظرنا يجب على المرأة أن تضطلع بمسئولياتها داخل المنزل وخارجه ، ويجب على المرأة أن تربى النشأ على أسس متينة تنبع من الروح الإسلامية الحنيفة ومبادئ الإسلام الحقة التي لا تتعارض مع مستوجبات العصر الحديث ولا تشل نصف قوى الشعب .

لذا ، أولينا أساليب وبرامج التعليم الأهمية القصوى يفرضها علينا الجوار الجغرافي ووجوب التقدم العلمي والاقتصادي دون تنكر للمبادئ الإسلامية الأصيلة .

ولقد عرفت تونس بتوخيها دائماً السبل الموصلة والعملية ، لذا وصفت دائماً بمرونة معالجتها للمشاكل مهما استعصت ومهما كبر حجمها .

[الملحق الصحفي بالسفارة التونسية]

إلى رحمة الله تعالى :

## فضيلة الشيخ السيد صبغة الله البختياري في ذمة الله

قلم التحرير

أفادت الأنباء بوفاة أحد علماء الهند الكبار، وهو الشيخ صبغة الله البختياري في ١٩ من شهر ذي القعدة ١٤١٢هـ المصادف ١٢ مايو ١٩٩٢م وقد كان مريضاً منذ مدة في مدينة مدراس جنوبي الهند ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الفقيد من علماء الهند المعروفين باهتماماتهم الدينية وأعمالهم التربوية ، كان من شيوخ العلم ، اشتغل بتعليم التفسير والحديث النبوي الشريف بجامعة دار السلام عمرآباد ثم في جامعة الباقيات الصالحات بمدينة ويلور بولاية تامل نادو (الهند) إلى مدة طويلة ، وتخرج عليه جماعة من تلاميذه البارعين .

وقد وُفق أخيراً إلى تأسيس مركز لتربية الشباب والدعاة على نهج الكتاب والسنة سمّاه المركز الإحساني ، وقام بجولات في سبيل ذلك في الهند وبعض الدول العربية وظل قائماً على هذا المركز يساعد في ذلك أنجاله ، وأكبرهم السيد محمود الله البختياري .

وكان من زملاء سماحة شيخنا العلامة السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي فكان يزوره في ندوة العلماء ويقيم بضيافته ويتبادل معه الآراء والأفكار .

وقد تميز في حياته بالصلاح والورع والفكر الهادئ السليم والرزانة والجدّية .

أقيم حفل تعزية على وفاته في مسجد دار العلوم ندوة العلماء ألقى فيه سماحة العلامة الندوي كلمة عزاء أشاد فيها بخدماته وتحدث عن صفاته ، وأشار إلى الصلة التي كانت بينه وبين الفقيد رحمه الله .

وإن أسرة المجلة إذ تقدم التعازى الخالصة على وفاته إلى أنجاله وأهله وذويه ، تبتهل إلى الله تعالى وتدعو له بالمغفرة والرحمة ، وأن يسكنه الله تعالى فسيح جناته .




## اقرأوا كتاب :

## رسائل الأعلام

مجموع رسائل لكبار العلماء ، و قادة الفكر و الزعماء ، و المؤلفين و الأدباء ، و الكتاب الاسلاميين الأصدقاء ، و بعض الملوك و الأمراء و الوزراء فى العالم العربى ، سبعون رسالة لخمسين كاتباً مرموقاً

كتبت و وجهت إلى سماحة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى أمين ندوة العلماء العام ، و رئيس المجمع الاسلامى العلمى فى لكهنؤ (الهند) فى الفترة ما بين

١٣٦٧هـ ——— ١٤٠٤هـ

إخراج و تقديم

فضيلة الأستاذ الشيخ محمد الرابع الحسنى الندوى

عميد كلية اللغة العربية و آدابها ، جامعة ندوة العلماء

لكهنؤ ( الهند )

يطلب الكتاب : من مكتبة دار العلوم لندوة العلماء ص . ب ٩٣

لكنؤ ( الهند )